الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي لميلة
قسم اللغة والأدب العربي
معهد الآداب واللغات

المرجع:.....

صورة العــاذل في شعر الصعاليك

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس، في اللغة والأدب العربي
تخصص الأدب العربي

إعداد الطلبة:
* قـــدور بولعجين
* بـــوجمعة طلحـــة

إشراف الأستاذ:
* سعـــاد الوالـــي

السنة الجامعية:2012 /2013

كلمة شكر وتقدير

لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ " إبراهيم : الآية : 07.

الحمد لله العلي العظيم الذي من علينا بنعمه فألهمنا روح الصبر والمثابرة لإتمام هذا العمل، وما كان ليتم إلا بفضله، وتوفيقه، نشكره شكرا عظيما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه وبعد :

فإنه يسعدنا في هذا المقام أن نتوجه بخالص الشكر وعظيم الإمتنان للأستاذة " سعاد الوالي " لتكرمها بالإشراف على دراستنا، ولما قدمت لنا من نصائح ثمينة، ساهمت في إخراج هذه الدراسة على هذه الصورة.

كما نتقدم بالشكر والتقدير للأستاذين : هشام باروق ، سليمة خليل. للمساعدة والمساندة في إتمام هذا العمل .

كما نتقدم بجزيل الشكر للمركز الجامعي لميلة على إتاحته لنا الفرصة للبحث والدراسة في جو علمي مفعم بالود والمحبة والاحترام .

وأخيرا نتقدم بجزيل الشكر والعرفان لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل، راجين من المولى القدير أن نكون من العارفين للناس فضلهم وأن يمكننا من رد الجميل.

إهـــــداء

إلى الروح التي لم تفارقني لحظة واحدة

إلى روح والدي الطاهرة

إلى أغلى ما في الوجود

إلى رمز المعاناة والتضحية

إلى أمـــــــــــــــي الغالية.

إلى من جعلت الصعب سهلا ، والمستحيل حقيقة ، إلى من منحتني

كل شيء إلى زوجتي :فـــــــــاطمة .

إلى من أشاعوا على حياتي النور والسعادة والبهجة إلى أبنائي:

إسراء – آلاء – أبرار – والوافد الجديد براء

إلى إخوتي جميعا كل باسمه .

إلى المتدفق في ذاكرتي دون انقطاع" ولـيد "

إلى الذي شاركني في هذا العمل المتواضع :بوجمعة طلحة

وإلى عبد الباسط طلحة .

إلى كل هؤلاء أهديكم ثمرة جهدي .

قـــــــــــدور

إهـــداء

إلى من قال في حقهما جل وعلا : وأخفض لهما جناح الذل ومن الرحمة ، وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا " الإسراء- الآية24

قرة عيني أبي وأمي يعجز القلم أمامكما أطال الله عمركما، وجعل الجنة خير مقام لكما.

أشقائي وشقيقاتي لكم مني أحلى شكر وامتنان، أدامكم الله من حولي شكرا على دعمكم المتواصل لي.

إلى البراعم الناعمة : سمية، قصي، أسامة، جابر، إسلام، جعلكم الله قرة أعين لأوليائكم.

إلى من شاركني هذا العمل : قدور . لن أوفيك حقك من الثناء.

إلى كل أساتذتي في مختلف المراحل التعليمية وبالأخص المرحلة الجامعية، إلى كل زملائي طيلة مشواري الدراسي: رياض، السبتي، عادل، ياسر، وكل الذين في قلبي ونسيهم قلمي ممن ساهم في دفعي للأمام.

إلى كل هؤلاء أهديكم ثمرة جهدي والبقية يأتي بحول الله .

بـــــوجمعة

فـــــهرس الموضوعات

- مـــقدمة ..... أ
- مدخـــــــل 02

الفصل الأول : دراسة موضوعية لبواعث العذل .

1 -الباعث الإنساني 08
1 1- العذل والمغامرة 08
1 2 -العذل والحزن 12
1-3- العذل والعشق 14
1 4 - العذل والحنين إلى الوطن 18
2 - الباعث المالي 20
2 1- العذل والجود والعطاء 21
2 2 - العذل والفقر 22
3 - الباعث الأخلاقي 24
3 1- العذل والغزل الحسي 24
4 - الباعث الاجتماعي 28
4 1- العذل والشيب 29
4 2 - العذل والقبيلة 30

الفصل الثاني : دراسة فنية لشعر العذل عند الشعراء الصعاليك .

1 -اللغة الشعرية 34
2 -الصورة الشعرية 47
3 -موسيقى الشعر 52

خـــــــاتمة 60

قائمة المصادر والمراجع 62

فهرس الموضوعات 68

لقد ظل الشعر العربي سجلا حافلا بالقيم العربية بتعدد أنواعها، وصورة تعكس بجلاء التجارب الإنسانية لأصحابها وما فيها من دلالات اجتماعية ونفسية، فينهل متذوقوا الشعر تلك التجارب وما فيها من معلومات فكرية و نماذج إنسانية يلتقي فيها الماضي بالحاضر.

ومن جملة تلك التجارب مواجهة الإنسان للعذل على فعله السلوكي لذا نجد أن شعر العذل واحد من الجوانب التي تستدعي الدراسة والبحث وبالأخص صورة العاذل التي رسمها الصعاليك في شعرهم، فلم يحض ذلك الشعر بالدراسة والبحث العميق، ولم تقم دراسة متكاملة تكشف لنا ما في هذا الشعر من رؤية إنسانية وقضايا اجتماعية، وقيم أخلاقية .

ويمكن أن نجمل الأسباب التي دفعتنا لاختيار الموضوع بأمرين:

أحدهما ذاتي وذلك لارتباط موضوع العذل بمعالجة كثير من القضايا الإنسانية التي يمر بها الشاعر ومدى صموده ودفاعه عن سلوكه الذي يقوم بممارسته.

والآخر موضوعي والمقصود به خلو الدراسات الأدبية من بحث متكامل يتناول صورة العاذل في شعر الصعاليك، ويدرسه دراسة وافية باستثناء بعض البحوث القصيرة والإشارات الخفية التي ضمنت دراسات أخرى، ولعل من أبرز الدراسات التي عالجت ظاهرة العذل بحثا أعده حسني عبد الجليل بعنوان (العذل في الشعر الجاهلي)،ورغم أن قصائده لم تكن كافية إلا أنه توصل إلى تحديد بعض بواعث العذل وتبيان صلتها بحياة الشاعر.

أما فيما يتعلق بالمباحث التي تعرضت لشعر العذل لدى الصعاليك فتكاد تنحصر في دراسات عامة لمحت إلى هذا الموضوع دون تخصيص كدراسة إبراهيم السنجلاوي عن العاذلة في الشعر الجاهلي ورصد تلك الظاهرة في نصوص شعرية مختلفة، وكذلك الرسالة الفاصلة بين الواشي والعاذل والرقيب التي دونها ابن خاتمة الأنصاري في مقدمة ديوانه .

وكذلك بقيه الدراسات العربية للشعر الجاهلي كدراسة أحمد الحوفي في كتابه" الحياة العربية في الشعر الجاهلي"، ودراسة أحمد نعناع في كتابه " الجود والبخل في الشعر الجاهلي" ضف إلى ذلك " المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام" لـــــ : " أحمد سلمان مهنا وهي رسالة ماجستير. ودراسة " لمحمد فؤاد نعناع" الموسومة بـــــ " العاذلة في شعر الجاهلية وصدرالاسلام" دراسة في التشكيل الفني".

وقد اعتمدنا في إنجاز هذا البحث على المنهج التاريخي الوصفي فمن خلاله استطعنا تتبع حركية شعر العذل لدى الصعاليك وكذلك قد منا دراسة تهدف إلى قراءة جديدة لشعرهم.

أما عن خطة البحث في صورتها النهائية، فقد جاءت على النحو التالي:

مقدمة: وقد كانت على شكل مقدمات البحوث الأكاديمية

مدخل؛ ورد فيه لمحة عن العصر الجاهلي، وكذا لمحة عن الصعلكة وكيف نشأت، ثم أعطينا تعريفا للعذل (لغة / اصطلاحا).

الفصل الأول: دراسة موضوعية لبواعث العذل عند الصعاليك.

الباعث الإنساني: تطرقنا فيه إلى:

1. العذل والمغامرة والمخاطرة.
2. العذل والحزن.
3. العذل والعشق.
4. العذل والحنين إلى الوطن.

- الباعث المالي: وتطرقنا فيه إلى :

1.العذل والجود والعطاء

2.العذل والفقر

-الباعث الأخلاقي :وتطرقنا فيه إلى:

1.العذل والغزل الحسي.

-الباعث الاجتماعي: وتطرقنا فيه إلى:

1. العذل والشيب.

2. العذل والقبيلة.

- الفصل الثاني: دراسة فنية لشعر العذل عند الصعاليك:

وقد تطرقنا في هذا الفصل إلى النقاط التالية:

1. اللغة الشعرية

2. الصورة الشعرية.

3. موسيقى الشعر.

هذه النقاط عولجت لدى مجموعة من الشعراء.

خـــــــــــــاتمة : ضمت نتيجة البحث.

. المصادر والمراجع.

لم تخل هذه الدراسة من بعض الصعوبات والمشاق، فكثرة الشعرية لدى الصعاليك كان أمرا مرهقا، وبخاصة في البحث عن النصوص التي تلائم الموضوع، كما أن الشعراء الذين وصلتنا قصائدهم، كان بعضهم مغمورا، وأشعارهم متفرقة في كثير من الكتب، مما زاد من صعوبة الإلمام بالمادة العملية.

لكن رغم هذا لم يثننا هذا العائق في البحث والاجتهاد.

وقد اعتمدنا على مصادر متعددة، سمحت لنا في التغلب على ما واجهنا من مشاق وصعاب،فعمدنا إلى الدواوين الشعرية للصعاليك كديوان : عروة بن الورد ، وديوان " الشنفرى" وغيرهم.

وكذا كتاب " الحياة العربية في الشعر الجاهلي" لـــــ " أحمد الحوفي"

كما أفدنا من بعض الكتب التي سيرد تفصيل لها في قائمة المصادر والمراجع

وبعد: فإن كنا قد استطعنا أن نحقق هدفنا المنشود في هذا البحث فهو فضل من الله فوق ما نستحق، وإن قصرنا فحسبنا أننا قد بدلنا إخلاصا وجهدا ما استطعنا وما التوفيق إلا بالله ، عليه توكلنا وهو رب العرش العظيم، وعلى الله قصد السبيل.

إن الحديث على مختلف العصور عند المؤرخين، يؤدي إلى تضارب الرؤى والآراء بينهم حول إعطاء تسمية كافية تلم بكل عصر لذلك فقد " ألف الباحثون أن يسموا تاريخ العرب قبل الإسلام" العصر الجاهلي" .

ويروا أن العرب في هذا العصر الجاهلي كانت تغلب عليهم البداوة وأنهم يحيون في منخفض حضاري عمن يجاورهم وكانوا مقطوعي الصلة بالعالم الخارجي إلا قليلا ، وأنهم أميون وعبدة الأصنام، ليس لهم تاريخ حافل، لذلك عرفت تلك الحقبة التي سبقت الإسلام بالجاهلية" [1].

الجاهلية اصطلاح مستحدث ظهر بظهور الإسلام، وهو اصطلاح استعمل ليطلق على أحوال العرب قبل الإسلام، وهي عصر يمتد القهقري من ظهور الإسلام إلى حيث لا ندري، وهي بذلك فترة غامضة من فترات التاريخ العربي التي يصح أن نطلق عليها" عصر ما قبل التاريخ العربي "، وأكثر فتراتها ضائعة مجهولة ، وأقلها مشكوك فيها وحسبنا أن نقول إننا لا نكاد أن نعرف عنها شيئا مند بدايتها إلى قبل ظهور الإسلام بحوالي قرن ونصف " وحريٌ بنا أن نعرف أن كلمة الجاهلية التي أطلقت على هذا العصر ليست مشتقة من الجهل الذي هو ضد العلم إنما هي مشتقة من الجهل بمعنى السفه والغضب والنزق وهي تقابل كلمة الإسلام التي تدل على الخضوع والطاعة الله عز وجل وما ينطوي فيها من سلوك خلقي كريم" [2].

ووردت الكلمة في الذكر الحكيم والحديث النبوي الشريف والشعر الجاهلي بمعنى الحمية الطيش، والغضب ففي سورة البقرة :" قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ " 3 .

[1] شفيق محمد الرقب، عادل جابر صالح محمد،تاريخ الأدب العربي القديم ، دار صفاء، عمان ، الأردن ، 2010م ط1، ص9.
[2] شوقي ضيف، سلسلة الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة ، مصر ، 2003م، ط 24، ج1، ص 39.
[3] البقرة/ 66.

وفي سورة الأعراف:" خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِين "" الأعراف: 199 ... [1]

وفي سورة الفرقان:" وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا "[2].

وفي الحديث النبوي أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال :" لإبن در وقد عير رجل بأمه:" إنك أمرؤ فيك جاهلية ". وفي معلقة عمر ابن كلثوم التغلبي:

ألا لا يجهل أحدٌ علينا فنجهلَ فوقَ جهلِ الجاهلين

وواضح من هذه النصوص جميعا أن هذه الكلمة " الجاهلية" استعملت من القديم للدلالة على السفه والطيش وقد أخذت تطلق على العصر القريب من الإسلام أو بعبارة أدق عن العصر السابق له مباشرة وكل ما كان فيه من وثنية وأخلاق قوامها الحمية والأخذ بالثأر واقتراف ما حرمه الدين الحنيف.

وقد برزت في هذه الحقبة كوكبة من الشعراء نظموا شعرا في مختلف الأغراض الشعرية ومن بين هؤلاء الشعراء طائفة الشعراء الصعاليك الذين ثاروا وتمردوا على قوانين القبيلة واختاروا لأنفسهم نمطا حياتيا خاصا بهم بقصد تحقيق صورة من صور العدالة الاجتماعية والتوازن الاقتصادي الأمر الذي جلب إليهم الويل والثبور واستبيحت دماؤهم وعدو نشازا مرقة خلقوا لأنفسهم كيانا موازيا يقارعون به جور القبائل التي تستعديهم ،ولما كان الأمر كذلك التمس الشاعر لنفسه مخرجا للتعبير عما يختلج في صدره وعن منزلة تلك القيم في نفسه من خلال خلق ما يشبه الحوار بينه وبين من يعذله على أمر ما .

[1] الأعراف/199.
[2] الفرقان/ 66.

وقبل الولوج في تفاصيل موضوع بحثنا هذا، يقتضي من المقام أن نقف على وجه التحديد عند لفظة" العاذل " في جانبها اللغوي لنبين مدى تطابق معناها مع مدلولها الاصطلاحي ففي المعجمات وتحت مادة " عذل ":" العاذل تجلياته اللغوية واللفظية التي تتقاطع دلالتها المعجمية على الرغم من اختلاف دلالتها الشعرية وأظهر هذه التجليات: الجاهل والرقيب والحاسد والكاشح والواشي واللاحي واللائم " [1].

وقد أختير العاذل عنوانا للموضوع ليكون جامعا للحقل الدلالي الذي تنطوي تحته سائر الألفاظ الدالة على اللوم والوشاية والترصد والتربص.

وللعاذل حضوره في الشعر العربي القديم ، فمنذ العصر الجاهلي نطالع في النصوص الشعرية لتلك الحقبة وسائط وأبياتا يكون للعاذل فيها دور ووظيفة ضمن البنية الكلية للقصيدة وربما ارتبط العذل في تلك القصائد بالمرأة غالبا إن لم يكن في كل حال، فكانت المرأة تعذل صاحبها على إتلاف المال أو مخاطرته بحياته، وكلا الأمرين لديها عظيم فإتلاف المال يؤول بها إلى الفقر والعوز، وإتلاف روحه يفقد الأسرة عائلها.

نجد ذلك عند:" عروة بن الورد " " وحاتم الطائي " وغيرهما " [2] .

ثم يكتسب العاذل في الشعر العربي دلالات أخرى ولاسيما بعد ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية وما أحدثه من تغيرات اجتماعية واقتصادية أدت إلى بروز قيم جديدة وعادات وتقاليد تتسق وطبيعة الدين الجديد.

" ومن الظواهر المثيرة لانتباه دارس الشعر الجاهلي ظاهرة العذل، فكثيرا ما نجد الشاعر يتوقف عند اعتراض من يعذله ويلومه على أمر قام به، أو تصرف اعتاد أن يكرره، غير ملتفت إلى ما يؤول إليه أمره فيما يستقبل من حياته. وأكثر ما يكون العذل واللوم في أمور هي مما يعتز به العربي عامة من مكارم الأخلاق، والخصال الحميدة والقيم النبيلة في

[1] عباس يوسف عبد الله الحداد، العاذل وتجلياته في الشعر الصوفي(أطروحة الدكتورة) الكويت، ص1.
[2] المرجع نفسه، ص 3.

عرف مجتمعه، والشاعر لا يعذل حقيقة على فعلها، بل على الإفراط والمبالغة فيها، فالجود يفقر لإقدام قتال كما قال المتنبي:

لولا المشـــقةُ ســـادَ الناسُ كُـــلَهم الجودُ يُفقِـــــر والإقـــدامُ قَتّـــــالُ

ولما كان الأمر كذلك إلتمس الشاعر بنفسه مخرجا للتعبير عما يختلج في صدره، وعن منزلة تلك القيم في نفسه من خلال خلق الحوار بينه وبين من يعذله ، ثم يسترسل عنه في حديثه وسرد موقفه وقناعته ، متخذا من هذا العذل محرضا له من للتعبير عن ذلك وتسويغ فعله"[1] ، وجاء في أسلوب الشعراء كلمات محددة تصرفوا فيها كالعذل والوشاية واللوم، الكشح، واللحي مع مراعاتهم للفروق الدقيقة في المعنى بين هذه الألفاظ، وكان الشعراء على دراية بذلك ، ولكنها في النتيجة تصب في الغاية التي يريدها الشاعر فما هي إلا أداة من الأدوات ينفذ منها إلى التعبير الشعوري المقصود بالإبداع الشعري نفسه.

" ولم يقف الشعراء عند صيغة واحدة لهذه الألفاظ بل تصرفوا فيها، واستعانوا بمشتقاتها وبصيغها المختلفة، وجاءوا بها على الإفراد والتثنية والتأنيث والتنكير وإن كنا نلحظ غلبة (العذل واللوم) وصيغة الإفراد والتأنيث وما سوى ذلك " [2].

يرتبط مفهوم العاذل باللوم والعتاب والملاحاة وترد صيغ كثيرة مشتقة من مادة (عذل)، وتطلق تسميات متعددة مثل اللائم واللاحي والزاجر. وقد ورد في لسان العرب لابن منظور في باب " عذل" :

" عذل أي العذل واللوم مثله، عذله يعذله عذلا وعذله فاعتذل وتعذل لامه فقبل منه وأعتب والاسم العذل وهم العذلة والعذال والعواذل من النساء جمع العاذلة ويجوز العاذلات وعند ابن الأعرابي : العذل الإحراق فكأن اللائم يحرق بعذله قلب المعذول"[3].

[1] علي أبو زيد، ظاهرة العذل في الشعر، حاتم الطائي، مجلة جامعة دمشق، المجلد 17، العذد الأول، 2002م ، ص 15.
[2] المرجع السابق، ص4.
[3] ابن منظور، لسان العرب، بيروت، لبنان، ط1، ج9، ص 107.

1 -الباعث الإنساني:

في دراستنا لهذا الباعث سنكتفي ببعض الشواهد للعذل باعتبار حرص العاذل على حياة المعذول فهو تعبير إنساني يفيض بالاهتمام بالذات الإنسانية من اللآلام والمصاعب والمعاناة النفسية، وعندئذ تتجلى ذات الشاعر فتفصح عما يجول في نفسه من معاناة لم يعد يتحلمها فنجد من يكبح جماح تلك المعاناة ومن يفيض عذلا وتأنيبا لسلوكه لعله يزجر عن ذلك ويكف عن هلاك ذاته .

1 1 -العذل والمغامرة:

إن الحياة العربية منذ العصر الجاهلي كانت ميزتها التنقل نتيجة لشح الموارد وانعدامها أحيانا، فإذا أعجزت البيئة عن تلبية حاجات الإنسان سعى إلى الارتحال لسد متطلباته وقد كان لذلك الارتحال عدة أغراض و غايات منها :

الحصول على المرعى الخصب فقد "ألحوا في تتبع مواقع القطر و أوغلوا في بطون الأودية و جابوا منابت الشجر سدا لحوائجهم وارتيادا لما يقوم بمؤنهم ويصلح لعلف دوابهم...

وكانت ديارهم كثيرة القحط قليلة الأنهار و العيون فامتدت أعناقهم نحو السماء لمطالعة علائم الظفر بمقصودهم"[1].

"وقد يضطر الشاعر إلى الإغارة على قبيلة أخرى لينهب مالها ، فالغزو لديه متنفس للكبت النفساني و الضغط الاقتصادي ، فهو يتجاوز المغاور للوقاية من شر الفاقة و تأمين الحياة له و لأبنائه "[2].

[1] سعدي ضناوي ، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، 1993م، ط1، ص 143.
[2] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك ، دار المعارف، مصر، 1959م، ط1، ص 72.

وكما يتحدث الشعراء الصعاليك عن مغامراتهم و قوتهم على أعدائهم ،يتحدثون أيضا عن فرارهم و هربهم دون أن يجدوا في هده الأحاديث غضاضة أو أمرا يدعو إلى الخجل، و لماذا يخجلون و الفرار يعد من أسلحتهم ، ليعاودوا الكرة مرة أخرى فيحققوا أهدافهم ، وإذا لاحظنا أيضا أن الفرار فرصة تتيح لهم إظهار تلك السمة التي يفتخرون بها دائما .

ومن خلال النصوص الشعرية التي دارت حول عذل الشاعر على المخاطرة بالنفس أن البواعث تختلف من شاعر لأخر ،فيبرز بشكل واضح باعث الحصول على المال بما يحيط من معان إنسانية و أخلاقية ، و هذا عروة بن الورد في مغامرته و مخاطرته بنفسه من أجل الحصول على المال ، فقد تعرض للوم امرأته التي خشيت عليه من الهلاك فسعى إلى نجدها و الغضب عليها قائلا[1]:

أَقِلّي عَلَيَّ اللَومَ يا بِنتَ مُنذِرٍ وَنامي وَإِن لَم تَشتَهي النَومَ فَاِسهَري

ذَريني وَنَفسي أُمَّ حَسّانَ إِنَّني بِها قَبلَ أَن لا أَملِكَ البَيـعَ مُشتَري

أَحاديثَ تَبقى وَالفَتى غَيرُ خالِدٍ إِذا هُوَ أَمسى هامَةً فـَـــوقَ صُيَّرِ

فزوجته تظل حائلا دون تحقيق مآربه وأحلامه بكثرة لومها له وقسوة مطلبها، ولكنه لا ينصاع للومها فيبدي رغبته منه في مجادلتها ودحض رأيها بالحجج والبراهين فيقول :[2]

ذَريـني أُطـوِّفْ فِـي الـبـلادِ لعلَّنِـي أخَلِّـيكِ أو أغْنِـيكِ عـن سُـوءِ مَحْضَرِ

فـإن فـاز سـهم للمـنيـة لـم أكـن جزُوعـاً، وهَـلْ عـن ذاكِ مـن مُتَـأخَّـرِ

وإن فـاز سهمـي كفكـم عـن مقـاعد لـكـم خلـف أدبـار الـبـيـوت ومـنـظـر

[1] عروة بن الورد، الديوان ،دار صادر بيروت، لبنان، 1964م، ط1، ص 35.
[2] المصدر نفسه ، ص 37.

ويذكر بعض الدارسين بأن الهدف من هذه المخاطرة هو أن تكون للمحافظة على كبرياء الشاعر وإعلاء شان الذات وليس لها علاقة بالحياة الاجتماعية .

ويخالف عمرو بن براقة الهمداني أمر عاذلته التي أمرته بالإعراض عن الأخذ بثأره من رجل يدعى حريم فسلب إبل عمرو وخيله فحرص الأخير على الإغارة على عدوه، فأخذ يقول :[1]

تَقولُ سُلَيمى لا تَعَرَّض لِتَلفَـــــةٍ وَلَيلُكَ عَن لَيلِ الصَعاليكِ نـــائِمُ

وَكَيفَ يَنامُ اللَيلَ مَن جُـلُّ مـالِهِ حُسامٌ كَلَونِ المِلحِ أَبيَضُ صـارِمُ

غَمُوضٌ إِذا عَضَّ الكَريهَةَ لَم يَدَع لَهُ طَمَعاً طَـوعُ اليَمينِ مُـــلازِمُ

أَلَم تَعلَمي أَنَّ الصَعاليكَ نَـومُهُم قَليلٌ إِذا نـــامَ الخَلِيُّ المُسالِـــمُ

إِذا أَدجـــى وَاِكفَهَرَّ ظَلامُـــهُ وَصاحَ مِنَ الأَفراطِ بومٌ جَـــواثِمُ

وقد أكثر عروة بن الورد من الحث على السعي للرزق تنظيرا وطبق ذلك على أرض الواقع، ويلج شعره بجدل محترم مع العاذلة التي تنهاه عن مخاطرة رحلاته التي ينفذها ضد المجتمع القبلي بشكل عام، ويبلغ السغب حدا لا تطيقه العاذلة، ولا تتحمل أذى تبعاته فتنقلب إلى محرض على المغامرة [2]:

قالتْ تُماضِرُ، إذ رَأتْ مالي خوَى وجفا الأقاربُ، فالفؤادُ قريـــحُ

ما لي رأيتُكَ في النّديّ منكـسّاً وَصِباً، كأنّكَ في النّديّ نَطيـحُ؟

خاطِرْ بنفسك كيْ تُصِيبَ غنيمـةً إنّ القُعودَ، معَ العِيالِ، قبيـــحُ

[1] منتهى الطلب، ابن ميمون، تحقيق محمد نبيل الطريفي، دار صادر بيروت، لبنان، 1997م، ط1، ص 5.
[2] عروة بن الورد، الديوان، ص 88.

المـــــالُ فِيهِ مَهابَةٌ وتَجِلّةٌ والفَقْرُ فِيهِ مذلّةٌ وفـُضُوح

ويفضل الشنفرى الموت في الغزو وعدم اكتراثه بما يلاقيه في سبيل إنفاذ عزمه في أعدائه قتلا وتنكيلا، فيطلب من زوجته أن تترك عذله وتأنيبه لأنه لا بد من موافاة الأجل فيقول[1]:

دَعِيني وَقُـــولِي بَعْدُ ما شِئْتِ إِنَّـــني سَيُغْدَى بِنَعْشِي مَـرَّةً فَأُغَيَّبُ

خَـــرَجْنَا فَلَمْ نَـعْهَدْ وَقَلَّتْ وَصِـــاتُنَا ثَمَانِيَةٌ ما بـَعْدَها مُـــتَعَتَّبُ

سَراحِينُ فِتْيَانٌ كـــأنَّ وُجُوهَهُمْ مَصَابِيحُ أوْ لَـوْنٌ مِنَ المَـــاءِ مُـذْهَبُ

أما الباعث الثاني من الغزو والمخاطرة فهو الحفاظ على الكيان القبلي، وفرض الوجود الجماعي، وفيه يريد الشاعر (الصعلوك) إظهار شجاعته وبطولته الحربية في مشهد متكامل مقابل الصورة السيئة التي رسمها اللوام عنه. ونخلص إلى أن النصوص الشعرية التي دار محورها حول عذل الشاعر على المخاطرة بالنفس الإنسانية تحتوي على معان إنسانية وأخلاقية يتجلى فيها حب العمل، والإصرار والصمود في مواجهة أحداث الحياة.

" وتشكل العاذلة مساحة واسعة بين أجناس العواذل، فقد بدت صورة المرأة صورة مثالية تريد أن تبعث في نفس الشاعر الأمن والهدوء والبعد عن المخاطر، وهذا ما يقابل صورة (الغزو) الذي يبعث الخوف والتوتر والقلق من المصير المجهول"[2] .

وقد تكون هذه العاذلة رمزا عاكسا لذاتية الشاعر وتجسيدا لما يلاقيه من هموم ومعاناة إثر الرحيل، فكأنه يتحدى نفسه لإتمام غرضه وتذليل الصعوبات والعقبات التي تواجهه.

[1] الشنفرى، الديوان،دار المعارف ، القاهرة ،مصر، 1973م،ط1، ص 45.
[2] أسماء بنت عبد الله بن محمد الزيد، عذل الشاعر في الشعر العربي القديم ، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، 2004م، ص 38.

1 2 - العـــــذل والحـــــزن:

نطقت ألسنة الشعراء الصعاليك شعرا صادقا يدور حول ما يختلج في النفس من مشاعر الأسى عند فقدانهم لذويهم، أو من يمثلون لديهم رموزا لمعان سامية في نطاق حياتهم الفردية والجماعية.

ويتفاوت موقف الشعراء في مواجهة الموت باختلاف المعتقد الذي يدينون به والمثير الذي يفرضه الموقف، والسمات التي يمتاز بها شاعر دون آخر فنجد بعضهم يعبر عن هول مصابه، وعظم رزيته، وشدة جزعه وعجزه عن التصبر بأبيات تقطر أسى وحزنا.

" وعادة ما يعبر الشعراء عن فقدهم للآخرين بأبيات تفيض بالآهات والعويل، ويزداد هذا الاتجاه عند بعضهم، فيضعف في مواجهته الخطب والصمود أمام الفجيعة، فيوجه له العذل من قبل الآخرين للتقليل من شدة انفعالاته، والعمل على التوجيه الصحيح لها وإعادة التأمل في نظرته للحياة والموت"[1].

ومن خلال النظر في النصوص الشعرية التي برز فيها العذل باعتباره ظاهرة إنسانية، يمكن القول أن استدعاء الشعراء له جاء لبيان موقفهم من الحدث ومحاولة الدفاع عن الذات ، والتأكيد على مأساوية تجربتهم.

وتتجلى مواجهة الشاعر للعذل في عدد من المواقف أولها:

- إظهار دواعي الحزن وما يتلعج في النفس من هموم ومعاناة اتجاه الحدث والإصرار على الإفصاح عن هذا الشعور رغم لوم الآخرين ، وقد اختلفت دواعي هذا الموقف وبواعثه من عصر لآخر ففي العصر الجاهلي نجد الشعراء الصعاليك يحرصون عليه وذلك تلبية لأمرين اثنين، احدهما: إظهار الحزن تكريما ووفاء وعرفانا بفضل

[1] المرجع السابق،، ص 38.

الميت، والآخر التحريض على الأخذ بثأر الميت، ففي الباعث الأول يسعى الشاعر إلى تصوير حزنه الشديد شعورا منه بأهمية ذلك ساعيا إلى تجسيد عمق العلاقة بينه وبين المرثي ، وينبع هذا الفعل من اهتمام الإنسان الجاهلي المقبل على الموت بتأدية مراسيم الحزن.

أما الباعث الآخر وهو المطالبة بأخذ الثأر ، فقد نهج الشعراء نهجا حاولوا فيه تصوير الفجيعة وبيان شدتها، بل ونذر بعضهم عدم التمتع بملذات الحياة قبل إدراكهم بثأر موتاهم.

وقد برزت نصوص شعرية تمثل هذين الباعثين وتصور هذا الواقع الأليم وخاصة عندما يعذل الشاعر على إبداء مشاعره الحزينة.

فهذا غوية بن ربيعة يزيد من لهجة التعنيف والتقريع للعاذلة في مقطوعته التي رثى بها جماعة من قبيلته ابتدأها عن تلك العاذلة التي أعلنت للملأ في فراق عنه لتجلب له الهم والحزن وتشغله عن حزنه الشديد في الفراق أبناء قبيلته فيرد عليها قائلا:[1]

ألا نادت أمامة باحتمـــال ليحزنني فلا بك ما أبـــالي

فلومي ما بدى لك أو أقيمي فأيا مـــــا أتيت فعن تقالـــي

فكيف تروعني امرأة ببيني حـــياتي بعد فارس بـــطلال

وبعد أبي ربيعة عبد عـــمر ومـــــسعود وبعد أبـــي هـــلال

أصابتهم حمِيدين المنايـــا فـــدى عمي لمصبحهم وحـــالي

أولئك لو جـــزعت لهـــم لكان اعز علي من أهلي ومالي

[1] أبو تمام، حماسة أبي تمام، تحقيق: عبد الله سيلان ، جامعة إيمام محمد بن سعود، الرياض، السعودية، 1981م، ط1، ص 497.

ويبدو أن الرد على عاذلته يعمق تأكيده على أن جزعه عليهم أمر حتمي لكونهم أعز عليه من أهله وماله ، لكي يعلن في نهاية مقطوعته اعترافه بأنه حتى ولو جزع عليهم أشد الجزع فلا يلام على ذلك لأنهم لديه أعز من أهله وماله .

"وهناك موقف آخر في مواجهة العذل وهو الرضى بما هو كائن والخضوع لحكم المقادير ومواجهة هذا الواقع الحزين؛ ليحقق من خلاله التخفيف عن همومه عوضا عن ترك نفسه تعاني من ألم الفقد والحرمان، وتجرع كأس المرارة والأحزان.

فالشاعر الذي يعبر عن واقعه الداخلي يتوجه إلى ذاته ليعرض عليها انفعالاته الحزينة؛ لعله بذلك يقلل من حدة انفعالاته محاولة منه لاستيعاب الحدث وترويض نفسه للعيش في هذه الحياة على ما فيها من حزن وألم "[1]

ويمكن القول أن استدعاء النصوص الشعرية التي تظهر موقف اللوم والعذل على الحزن في العصر الجاهلي قليلة بالنسبة للإمتداد الزمني لهذا العصر وقد يعود ذلك إلى تأثير القيم والعادات الجاهلية التي تتمثل في كثرة النواح والندب، والمشاركة الجماعية في ذلك فلا يلام أحد على ذلك بل يلاقي التشجيع على تلك الممارسات.

1 3 -العذل والعشق:

لا يعني أن العاذل يحرص على حياة الشاعر، إنما قد يكون حملا ثقيلا يحاول تكدير صفو حياة المعذول كما يقول ابن حزم عن آفات الحب فيشير إلى أقسام العذال " فمنهم الصديق الرفيق الذي يحسن التوصل إلى ما يريد من المعاني فعذله أفضل من كثير المساعدات، ومنهم العاذل الراجز الذي يتصف بالعنف والقسوة فيشكل عبئا ثقيلا على الشاعر"[2] .

[1] أسماء بنت عبد الله بن محمد الزيد، عذل الشاعر في الشعر العربي القديم، ص 54.
[2] ابن حزم الأندلسي، طوق الحمامة في الألفى والألاف ،دار المعارف، القاهرة ، مصر 1975م ،ط1، ،ص 67.

ويتفق معظم الشعراء الصعاليك المعذولين في رفضهم للعذل إلى أن موقفهم والدفاع عن ذاتهم يختلف من شاعر لآخر، وقد يشكل العذل آثار جانبية تعود على الشاعر فتدفعه إلى سلوكيات وردات فعل متعددة أهمها:

أولا: الاعتراف بالهلاك ومعاناة الذات وهو دليل على شعور الشاعر بفشل الحب وخيبة الأمل إذ لم يتمكن من وصل محبوبته، مما يؤدي إل الموت أو المرض فكأنه أراد ضبط نفسه وامتلاك ذاته والبعد عن مواطن الغواية، فيشغل نفسه بالرد على عذاله.

ثانيا: رحيل المحبوبة، فيظهر مكنون الجوى، وينقطع رجاء اللقاء بينهما، فيتولد الحنين والتذكر، فيبدأ الشاعر في سرد معاناته من الحب، وما يعتريه من هموم وأحزان ويأس من عودة المحب، فيبدو في صورة الإنسان الباكي الحزين الذي لم يستطع إخفاء دموعه أمام عواذله ،" وهناك أمر آخر يدفع الشاعر إلى سرد معاناته من العشق وهو هجر المحبوبة وعتابها، فيحاول أن يسيطر على ذلك الهجران بموقف مضاد لعله يقلل من شعوره باليأس، فللعذاب دلالة وجدانية ايجابية فيها تحامل على الذات وانتصار على الفردية "[1] مما يجعل الشاعر يشعر بالحاجة إلى السلو والنسيان فالتعبير عن حنينه إلى الشعور المتبادل بينه وبين محبوبته وهذا أسماء بن خارجة يزداد سخطا على عاذلته ووسمها بالجهل، فيفيض وصفا في محاسن محبوبته والتشبب بها، ومدح قبيلتها قائلا:[2]

إنـــّي لَسائِلُ كُلِّ ذي طِبٍّ ... مــاذا دواءُ صَبـــابةِ الصبِّ

ودواءُ عاذِلَةٍ تُباكِرُنـــــي ... جَــعَلتْ عتِابي أوجَبَ النَحـبْ

أوَ ليسَ مِنْ عَجبٍ أُسائِلُكم ... ما خطبُ عاذِلَتي ومَا خَــطبِي

أَبِهــاَ ذَهَابُ العَقلِ أم عَتَبَتْ ... فأُزِيدَهَا عتبـــاً على عـــــتبِ

أوَلم يُجرِبْني العَـــواذِلُ أوْ ... لمْ أبـلُ من أمـــــثالِهَا حَسبِي

[1] زكرياء إبراهيم، مشكلة الحب، مكتبة مصر، 1970م،ط2، ص 305.
[2] الأصمعي، الأصمعيات، تحقيق وشرح : احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1967م، ط5، ص ص 48-49.

مـــــــا ضرَّهَا ألا تُذَكرَني عيشَ الخِيـــــامِ ليالي الخِـبِّ

ما أصبحَتْ بشرٌ بأحسنَ في مــا بينَ شَرق الأرضِ والغَرْبِ

فهو لا يبالي عاذلته رغم معاناته من الحب والجوى والألم، فأخذ يسائل ذوي المعرفة عن دواء الصبابة وعلاجها ، ولا يقتصر على ذلك، إنما تعدى إلى السؤال عن دواء العاذلة التي أصابها الجنون، فكلاهما يحتاج إلى علاج لحالتيهما وهو أحق بمعالجة حاله، ويحرص في الوقت نفسه على إنهاء معاناته من العاذلة واستبداله بعذلها وتذكريها إياه بأيام لهوه وصباه.

ويبلغ الهلاك أقصى حدوده عند مرداس بن همام الطائي، حيث يعترف بوقوعه في أسر الغرام والهوى فهو يعيش وضعا متأزما ووقع أسيرا للهوى، فانشق عليه أصحابه فلاموه على ذلك فقال[1]:

هَويتُكِ حتى كاد يقتلني الهوى وزرتُكِ حتى مَلَّـــني كلُّ صاحبِ

وحتى رأى مني أدانيكِ لينة لديهم ولولا أنتِ ما لانَ جــانبي

أَلا حبَّذا لوما الحياء وربـما مَنَحْتُ الهوى مَنْ ليس بالمتقاربِ

بأهلي ظباءٌ من ربيعةِ عامرٍ عذابُ الثنايـــا مُشرفاتُ الذوائب

وشعوره بأداء واجبه نحوها وتأدية حقوقها إلا أنه يعترف بأنه كان قديما يتعلق شوقا بنساء قبيلته.

وعلى الرغم من رفض الشعراء للعذل في أكثر البواعث الأخلاقية والاجتماعية إلا أننا نجد الموقف مغايرا في هذا الباعث رغم عدم التصريح بذلك ، فنجد من تتحول القصيدة لديه إلى عرض بمعاناته من الحب، وهذا يدل على اعترافه بقيمة العذل.

[1] لم أعثر له على ترجمة .

وهناك فئة من شعراء الصعاليك يعترفون بالهلاك وينسبونه إلى هجر المحبوبة، فيستفيض كل منهم في رصد موقف الهجر والقطيعة وإبراز صفات الصبر على الهوى والتظاهر بذلك.

1 4 -العذل والحنين إلى الوطن :

ارتبط الإنسان العربي بوطنه ارتباطا وثيقا حيث يشعر بالحنين الدائم إليه عند رحيله عنه ويُلحُّ في رغبته على التغني بمشاعر الحنين والشوق إليه وبكاء أطلاله وديارِه التي اندرست معالمها وانمحت آثارها ،وتشتد وطأة تلك المشاعر على قلبه ،ويظل يعاني من الهموم والأحزان .

" وقد كان الصعاليك نتاجا لخروجهم على أعراف القبيلة وتقاليدها وتسلطها ،وكان كثير منهم خُلِعَ وطُرِدَ بسبب جناياتهم وخروجهم على النظام القبلي ،ومنهم كان يعيش الغربة داخل قبيلته ورضي بالعبودية ،حرصا على أهله وبناته من الذل والفقر إذا هجر القبيلة وتحررَ من ظلمها "[1] وهذا ما زاد من لوم العاذلين ،وتَنكُرِهم لخروج هؤلاء عن قبائلهم ، فعبر هؤلاء عن معاناتهم .

يقول "سميم عبد بني الحسحاس :[2]

لقد زادَ الحيـــاةَ إليَّ حُبـــــاً بناتي إنهنَّ مـــن الضعـــافِ

مخافةَ أن يَذُقْنَ البؤسَ بعدي وأن يَشْرَبْنَ رتقاً بعدَ صافِ

وان يعرين إن سي الجواري فتنبو العين عن كرم عجاف

فالصعاليك عاشوا حياة فقر وخوف وفزع من جهة ،وحياة عذل من قبل الآخرين ، فها هو "الأحيمر السعدي" يأنس بالوحش ويتطير من صوت العاذل : [3]

عوى الذئبُ فاستأنستُ بالذئبِ إذ عوى وصوَّت إنسانٌ فكدتُ أطيرُ

رأى الله أنـــــــي للأنيس لشانى وتبغضهم لي مقلة وضمير

[1] يحي الجبوري ،الحنين والغربة في الشعر العربي ،دار مجدلاوي ،عمان ،الأردن ، 2008م ،ط1،ص40.
[2] سحيم عبد بني الحسحاس ،تح عبد العزيز اليمني ،دار الكتب المصرية ،القاهرة ،مصر ، 1950،ص57.
[3] يحي الجبوري ،الحنين والغربة في الشعر العربي ،ص43.

ونجد " عروة بن الورد "يحث أصحابه على المغامرة وطلب الرزق الكريم بالسيف فلا يكون عالة على غيره من ذوي قرباه ،ولا يقبل الذل وكلام الناس ولوم العاذلين وخير له أن يسير في فجاج الأرض " [1]

إذا المَرءُ لَم يَطلُب مَعاشاً لِنَفسِهِ شَكا الفَقرَ أَو لامَ الصَديقَ فَأَكثَرا

وَصارَ عَلى الأَدنَينَ كَلّاً وَأَوشَكَت صِلاتُ ذَوي القُربى لَهُ أَن تَنَكَّرا

وَما طالِبُ الحاجاتِ مِن كُلِّ وِجهَةٍ مِنَ الناسِ إِلّا مَن أَجِـدَّ وَشَمَّرا

فَسِر في بِـلادِ اللَهِ وَالتَمِسِ الغِنى تَعِش ذا يَسارٍ أَو تَموتَ فَتُعذَرا

فالشاعر كان دائم الشكوى بسبب بعده عن وطنه ،حين يتمنى اجتماعه بمحبوبته وهو الأمر الذي جلب إليه عذلها ،رغبة منها في اجتماع الشمل بأسرتها ،وعشيرتها " وقد ذكر أحد الدارسين أن المرأة أشَدَ من الرجل في عمق اتصالها بوطنها وإحساسها بالغربة وذلك يعود إلى قوة ارتباطها بوطنها وأهلها ، بخلاف الرجل الذي تَعَودَ على الارتحال من مكان إلى آخر " [2] .

فالشاعر تزداد آلامه بزيادة عذل زوجته أو محبوبته له، كلما تذكر كلامها ،أو تذكرها .فها هو "الخطيم المحرزي" يذكر حنينه وشوقه إلى الأهل والديار[3]:

أَلا لَيــتَ شِــعري هَـــل أَبيتَنَّ لَيلَةً بأعلى بلي ذي السلام وذي السدر

وهل أهبطن روض القطا غير خائف هل أصبحن الدهر وسط بني صخر

وهل أسمعن يوما بكاء حمـــامة تنادي حماما في ذري تنصب خضر

[1] عروة بن الورد، الديوان، ص44.

[2] محمد إبراهيم حور، الحنين إلى الوطن في الأدب العربي، حتى نهاية العصر الأموي، دار القلم للنشر والتوزيع، دبي، 4=ع74الإمارات العربية المتحدة، 1989، ط2، ص162.

[3] عبد الله الملوحي ،أشعار اللصوص ،دار طلاس ،سوريا ، 1988،ص85.

وهلب أرين يوما جيادي أقودها بذات الشقوق أو بانقائها شديدا

ويبدو أن الشعراء الصعاليك، كان وقع اللوم عليهم شديدا إلى جانب معاناتهم من الغربة التي شكلت تحديا لهم، فهم مغتربون غربة اجتماعية وخارجون على أعراف المجتمع وتقاليده ونظمه.

2 الباعث المالي:

يعدُ الكرم وإنفاق المال من بين الفضائل الإنسانية التي اشتهر بها العرب منذ القديم وهذا بالرغم من الضنك والظروف القاسية التي كانوا يعيشونها في جاهليتهم .

ورغم هذه القساوة في الحياة ،فإن الثروة كانت بيد جماعة دون آخري ،فساد التفاوت بينهم ،مما جعل هناك فئة تحتاج إلى مد يد العون والمساعدة مما حَدَا الآخرين إلى تقديم ذلك لهم .

وقد واجه الشعراء هذا الموقف الإنساني بكل ثبات، واختلفوا في تبيان جملة الغايات التي يسعون إلى تحقيقها عن طريق الكرم.

فمن خلال استقراء النصوص الشعرية التي يدور محورها حول عذل الآخرين للشاعر، يمكن القول إنها تندرج تحت غاية هي:

....الثناء و الذكر الحسن واكتساب المكانة العالية ،فالكرم عندهم موجة لنيل إعجاب الآخرين " فقد أشار بعض الدارسين إلى هذا السلوك يضمن للشخص الكريم وذريته حق القبول الاجتماعي ، وفرض القيام بمساعدته في وقت الحاجة فقد يواجه الإنسان صعوبات عند تنقله هو وأسرته بين البلدان فيحتاج إلى من يؤمّن له الحاجة ،ويوفّر ماله " [1]

[1] حسني عبد الجليل، الإنسان والزمان في الشعر الجاهلي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1981م، ط1،ص38.

2 1 العذل والجود والعطاء:

لقد كان للظروف الاقتصادية والبيئية تأثيرا على هذا السلوك " فالشعراء الجاهلون حرصوا على تأكيد حضورهم الذاتي في وعي الجماعة عن طريق بذل المال في سبيل الإشادة بذكرهم ،فهم ينطلقون من حتمية الموت واليقين بالعذل إلى تأكيد وجودهم فمادام الموت قدَرًا محتوما ،فإن على الإنسان أن يُخَلِّف مَجْدًا عن طريق فعل المآثر أو أن يطلب الموت سبيلا للبطولة وتخليد الذكر وبناء المجد " [1] فالشاعر كان يسعى إلى تحديد وجوده عن طريق ما يقوم به من إنفاق للمال سعيا إلى صنع اسم له .

هذا الكرم والبذل من قبل الشعراء، جعل العاذلين يكثرون حولهم، مما حذا بهم إلى الدفاع عن أنفسهم.

فنجد " تأبط شرا " الذي كان وقع العذل عليه أمرًا شاقا للغاية عليه ،حيث وصف العذل بأنه إصابة بالغة الصعوبة في جلده فهو يحترق ألمًا مع حرص عاذله على حياة الشاعر، وعدم تعريضه للهلاك ،وافتقاده مقومات العيش من اكتساب ثوب واقتناء سلاح فيقول [2]:

بَلْ مَنْ لِعَذَّالَةٍ خَـــــــذَّالَةٍ أَشِبٍ حَرَّقَ باللَّوْمِ جِلْدِي أيَّ تَحْـــرَاق

يَقُولُ أَهَلْكَتْ مَالاً لَوْ قَنِعْتَ بِـــهِ مِنْ ثَـوْبِ صِدْقٍ وَمِنْ بَزٍّ وَأَعْلاَق

عَاذِلَتِي إنَّ بَعْضَ اللَّوْمِ مَـــعْنَفَةٌ وَهَلْ مَتَـــاعٌ وَإنْ أَبْقَيْتُهُ بَـــاق

إنِّي زَعِيمٌ لَئِنْ لَمْ تَتْرُكُوا عَـذَلِي أَنْ يَسْأَلَ الْحَيُّ عَنِّي أَهْلَ آفَـــاق

أنْ يَسْأَلَ الْقَوْمُ عَنِّي أَهْلَ مَعْرِفَةٍ فَـــلاَ يُخَبِّرُهُمْ عَـــنْ ثَابِتٍ لاَق

[1] حسني عبد الجليل : المرجع السابق ،ص39.
[2] تأبط شرا ،الديوان ،تح: علي ذو الفقار شاكر ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،لبنان ، 1984م ،ط1،ص140.

وينتهي الشاعر إلى تلك الحقيقة التي صدر عنها في مسلكه وهي أنه يسعى إلى تخليد ذكراه بعد الممات، وتعداد محاسن أخلاقه من خلال توجيه النصيحة بوجه عام فيقول[1] :

سَدِّدْ خِلاَلَكَ مِنْ مَالٍ تُجَمِّعُهُ حَتَّى تُلاَقِي الَّذي كُلُّ امْرِىءٍ لاَق

لَتَقْرَعَنَّ عَلَيَّ السِّنَّ مِنْ نَدَمٍ إذَا تَذَكَّرْتَ يَوْماً بَعْضَ أَخْـــلاَقِي

فالتحول الدائم في الظروف المعيشية دافع للبذل والعطاء ،فوقوع الإنسان بين براثن الفقر و البؤس،تجعله يشعر بأن عليه أن يؤدي واجباته الأخلاقية نحو الآخرين، حتى إذا ما صادفه ضنك في العيش يَهُبُّ الآخرون لنجدته .

2 2 العـــذل والفقر:

يشكل الفقر طابعا عاما لحياة الناس في العصر الجاهلي حيث أنّ ندرة الموارد الطبيعية ،وقلة الفرص المتاحة لطرق باب الرزق ،والتفاوت الطبقي في توزيع الثروات " فالثروة النسبية التي تملكها البدوي ليست بالثروة المضمونة البقاء فإن وباء ينتشر بين قطعانه أو جدبا في الرعي،أو جفافا في الآبار يضعه وجها لوجه أمام المجاعة ويدفعه دفعا إلى السرقة والنهب " [2] .

ويتخذ "عروة بن الورد " تساؤلات عاذلته وسيلة للحث على الغزو والمخاطرة بنفسه وتعرضه للأخطار طلبا للمال ، يقول [3]:

قالت تماضر إذ رأت ما لي خوى وجفـا الأقـــاربُ، فالـفـؤادُ قـريـحُ

ما لـــي رأيتُـكَ فـــي النّـــديّ منكَّســاً وَصِبــاً، كأنّــكَ فـــي النّـــديّ نَطيـــح؟

[1] تأبط شرا ،الديوان ،ص143.
[2] يوسف خليف ،الشعراء الصعاليك ،ص73.
[3] عروة بن الورد، الديوان ،ص25 .

خاطر بنفسك كـــي تصيـــب غنيمـــة إنّ القُـــعـــودَ، معَ العِـــيالِ، قبـــــــيـــح

المال فـــيـــه مـــهابـــة وتـــجلة والفَـــقْـــرُ فِـــيـــــهِ مـــذلّةٌ وفُـــضُوح

ويكشف جهر صوت العاذلة ،وصمت المعذول عن الرغبة الدفينة في نفس الشاعر لمواجهة الأخطار في سبيل الحصول على المال لتوفير الحياة الكريمة في محيط أسرته ومحيطه الاجتماعي ويلتمس لنفسه العذر في المخاطرة واستجابة لرغبته العاذلة التي قد تكون ذات الشاعر حيث تعكس ما يدور في خلده من رؤية الواقع .

وكذلك تعكس أبيات "مضمر البكائي" معاناته من انصراف عاذلته بسبب فقره ،فينم الغني بأنه مسلك البخلاء فلو أنهم حرصوا على إنفاق مالهم في أوجه الخير لما تنامى هذا المال لديهم. [1]

لا تعذيني الفقر يا أم مـــــــــالك فإن للغنى للمقتربين قـــــريب

وللحق من مال أمرئ الصدق نوبة وللـــدهر من مال اللئيم نصيب

وللمال إشراك وإن ضن ربـــــــه يصيب الفتى من مـــاله ونصيب

وما السائل المحروم يرجع خائبـــا ولكن نحيل الأغنيـــــاء نجيب

وتبدو رؤيته للمال ،هي إنفاقه في أوجه الخير ،ولعله يقلل ذلك بفقره أمام عاذلته فالمال حق مشترك بين الناس .

ويتبين من خلال النصوص الشعرية السابقة التي دارت حول عذل الشعراء على كرمه أو فقره وإنفاقه بكل ما يمتلكه من مال وجاه. فالشعراء لم يكتفوا بالدفاع عن موقفهم بكلمات قليلة، وإنما أخذوا يدعمون آراءهم بالحجج والبراهين المختلفة التي تبين نظرتهم للحياة ورؤيتهم لها وللمال.

[1] الخالديان ،الأشباه والنظائر ، تح :محمد يوسف ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،القاهرة ،مصر، ج2،1965،دت ،ص258.

3 -الباعث الأخلاقي:

باعتبار الأخلاق جزء من ثقافة المجتمع،ولسانُ يعبر عنه سلوك أفراده ،فقد تأصلت المثل الأخلاقية في نفوس أفراد المجتمع ؛ حيث حثت على ذلك كل الديانات السماوية وصولا إلى الإسلام الذي أكد عليها ،وساعد على توسيع دائرة الأخلاق الإنسانية ؛فكان فعلا خاتم الديانات وملمًا بكل ما يحتاجه الإنسان في كل زمان ومكان .

إلا أن الفرد قد يخرج عن دائرة الأخلاق ،فتتحلل قيمه ،وينتج عن ذلك اتساع في مجال المجون الزندقة من مجالس لهو وطرب وشرب للخمر ،ولكون المجتمع ينبذ تلك الانحرافات فهو دائما يسعى لتقويمها ،كي تكتسي (الأخلاق) بكسوتها الشرعية من خلال مبدأ الثواب والعقاب والعذل والتأنيب من خلال السلطة التشريعية والاجتماعية .

كما أن الذي يخرج عن القيم الاجتماعية مدرك بأن انزياحه هذا خارج عن دائرة القيم و الأخلاق ،والمثل السائد " من شب على شيء شاب عليه " يثبت – ولو بدرجة قليلة – أن أثار ذلك السلوك ستبقى مصاحبة له طيلة حياته إلا إذا كف عن ذلك باقتناع منه أو رغبة في مسايرة رأي العاذل لسلوكه .

وفي دراستنا لهذا الباعث سنكتفي ببعض الشواهد لعذل الشاعر على سوء مسلكه باعتبار رغبة العاذل في تعديل سلوك الشاعر والحرص على مسايرة لعادات المجتمع وقيمته.

3 1 -العذل والغزل الحسي:

يقع الغزل موقع الأهمية الكبرى بين فنون الشعر العربي حيث اعتنى الشعراء بتجاربهم العاطفية ووصف ما كانوا يعانونه من تباريح الصبابة وألم الفراق .

حيث كان لهذه الموضوعات النصيب الأوفى في نهج الشعراء الجاهلين عما إلتزموه في القصيدة العربية بافتتاح القصائد بالمقدمة الطللية واسترجاع ذكريات المحبوبة ،ولم يكتفوا بذلك وإنما أفراد قصائد غزلية سارت في مضمونها ومحتواها إلى التعبير عما انطوت عليه مشاعرهم اتجاه المحبوبة .

" وقد اتجه العزل في العصر الجاهلي اتجاهين متباينين سار على خطاهما الشعراء وتتعدد بيئاتهم الاجتماعية وقد كان الاتجاه الحسي أوسع انتشارا من الاتجاه الواقعي ،وقد فسر أحد الدارسين ذلك بأن الجاهلين لم يتعرفوا على الثنائية في جمال الخلقة وجمال الخلق والجمال عندهم جوهر واحد لا تفاوت بين الجسد والروح "[1] .

إلا أن الآخر يرى أن هذا التحليل لا يقارب الحقيقة " فهو ينطوي على فلسفة جمالية بعيدة عن عقلية الجاهلي وإدراكه ،فالحياة لم تتح لهم فرصة اللقاء بمحبوباتهم ،إنما هي لقاءات عابرة ونظرات بعيدة ،لذا حرصوا على إبراز الجانب الحسي في وصف المرأة " [2] .

كسائر المجتمعات يعرف المجتمع الجاهلي بأعراف وتقاليد اجتماعية وقيم أخلاقية تحافظ على أعراض نسائه وعفة رجاله بل يفخرون بالاعتزاز بالشرف وحماية الأعراض فالعفة لديهم مفخرة للرجال الأبطال لتبين غيرة الرجل على محارمه وصيانة حرمة جيرانه كما يقول الشنفري .[3]

ألا أمُّ عَمرو أَجمَعَت فَاِستَقَلَّتِ وَما وَدَّعَت جيرانَها إِذ تَوَلَّتِ

لَقَد أَعجَبَتني لا سَقوطاً قِناعُـها إِذا مـــــا مَشَت وَلا بِذاتِ تَلَفُّتِ

[1] شكري فيصل :الغزل بين الجاهلية ولإسلام ،مطبعة جامعة دمشق،سوريا ، 1959م ،ط1،ص51-52.
[2] يوسف بكار:اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، دت،ط 2،ص46-47.
[3] عبد العزيز الميمني ،الطرائف الأدبية (مجموع شعر الشنفري) ،دار الجيل ، بيروت، لبنان، 1967م،ط1، ص15.

ويسعى المجتمع بأفراده إلى تهذيب سلوك الفرد عندما لا يتورع من ذكر مغامرته العاطفية ووصف مفاتن المرأة، فيلاقي العذل على ذلك حرصا من العاذل على تهذيب سلوك الشاعر.

"كما أن بساطة الحياة وصراحتها كان لها الأثر في إقبال الشعراء على ذلك ففيه متنفس لعواطفهم وغرائزهم" .[1] ولعل تلك العواطف لم يكن لها الموجه الأخلاقي الضابط لأمرها والذي ينبع عن تمسك الشعراء بأخلاقيات المجتمع ،كما يمكننا أن نتلمس هذه العواطف وتلكم الأخلاق في التعابير التي تبرز موقف الشاعر من غزله في بضع قصائد لشعراء جاهليين واجهوا العذل على إفصاحهم بواقع تجاربهم العاطفية ،والحديث عن علاقتهم بمحبوباتهم ذلك الأمر الذي يتعارض مع تقاليد المجتمع وأعرافه .

ونبين من خلال النصوص الشعرية أنه يمكن أن نصنف بحسب دوافع العذل ودرجاته ،فالأول منها ما يكون فيه عذل الشاعر لكونه منغمسا في علاقته إلى درجة الهيام فيصل إلى حد السقام والضنن ،فقد اشتد شوقه وهام قلبه ،فأصبح العشق جل تفكيره ومناط أمره لذا حرص العاذل على أن يفيق الشاعر من غيِّهَ وتماديه في جهالات العشق .

حيث ظلت مقدمات القصائد الجاهلية غزلية تتعلق بالمرأة المحبوبة التي طالما شغلت القلوب والعقول ،و أسهرت العيون فهام لها الهائمون ،وتعلق بها المحبون فوصفوها أدق وصف ،وتغنوا بها أجمل غناء .يقول مالك بن حريم في مطلع قصيدته متحدثا عن محبوبته وكيف طرق خيالها وطفق يشبب بها قائلا :[2]

تَذَكّرْتُ سَلْمَى وَالرِّكَابُ كَأَنّها ... قَطًا وَارِدٌ بَيْنَ اللِّفَاظِ وَلَعْلَعَـا

فَحَدّثْتُ نَفْسِي أَنّها أَوْ خَيَالَهَا ... أَتَانَا عِشَاءً حِينَ قُمْنَا لِنَهْجَعَا

فَقُلْتُ لَهَا بِيتِي لَدَيْنَا وَعَرّسِي ... وَمَا طَرَقَتْ بَعْدَ الرُّقَادِ لِتَنْفَعَـا

[1] يحي الجيوري ،الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ،منشورات جمعية قاريونس ،بنغازي ،ليبيا، 1993،ط6 ،ص167.
[2] الأصمعي ،الأصمعيات ،ص.63

مُنَعِّمَةٌ لَمْ تَلْقَ فِي الْعَيْشِ تَرْحـــَةً وَلَمْ تَلْقَ بُؤْسًا عِنْدَ ذَاكَ فَتَجْدَعَـــا
أَهِيمُ بِهَا لَمْ أَقْضِ مِنْهَا لُبَـــانَةً وَكُنْتُ بِهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ مُوزَعَا

كَأَنَّ جَنَا الْكَافُورِ وَالمِسْكِ خَالِصًا وَبَرْدَ النَّدَى وَالأُقْحُوَانَ المُنَزَّعَـــا
وَقَلْتًا قَرَتْ فِيهِ السَّحَابَةُ مَاءَهَا بِأَنْيَابِهَا وَالْفَارِسِيِّ المُشَعْشَعَـــــا

ونجد أيضا تأبط شرا في قصيدة طويلة له قد تغزل بمحبوبته فنجده يصفها بالضيف وقد ألم به ومتحدثا عن هجرها له بعد الوصل ومبينا عدم صدقها في مواعيدها ،مظهر عزة نفس وكبرياء،عرف عند الصعاليك حيث أنه لا يصل إلا من و صله ،دون تدلل واستجداء فيقول[1]:

يـــا عيدُ ما لَكَ مِن شَوقٍ وَإيراق وَمَـــرِّ طَيفٍ عَلى الأَهوالِ طَـــرّاق
طَـــيفِ اِبنَةِ الحُرِّ إِذ كُنّا نُواصِلُها ثُـــمَّ اِجـــتُنِنتَ بُـــها بَعدَ التِفـــرّاق
يَسري عَلى الأَينِ وَالحَيّاتِ مُحتَفِياً نَـــفسي فِداؤُكَ مِن سارٍ عَلى سَـاق
تَـــاللَهِ آمَـــنُ أُنثى بَعدَما حَلَفَت أَســـماءُ بِـــاللَهِ مِـــن عَهدٍ وَميثاق
مَمزوجَةُ الوُدِّ بَينا واصَلَت صَرَمَت الأَوَّلُ الـــلَذ مَضى وَالآخَرُ البـــاق
تُـــعطيكَ وَعـــدَ أَمـــانيٍّ تُـــغِرُّ بِهِ كَـــالقَطرِ مَـــرَّ عَلى ضَجنانَ بـرّاق
إِنّـــي إِذا خُـــلَّةٌ ضَـــنَّت بِنائِلِها وَأَمسَكَت بِضَعيفِ الوَصلِ أَحـــذاق
نَـــجَوتُ مِنها نَجائي مِن بَجيلَةَ إِذ أَلـــقَيتُ لَيلَةَ خَبتِ الـــرَهطِ أَرواق

[1] يوسف فرحات ،ديوان الصعاليك ،دار الجيل ،بيروت ،لبنان ، 1992م ،ط1،ص ص143-144.

4 -الباعث الاجتماعي :

يخضع الفرد لمجموعة من القيم والمعايير يُصر المجتمع عليه في ممارسته وعدم الخروج عنها ،إذ أن من يخرج عن هذه القيم يقابل بالتأنيب على خروجه ،فترى الأفراد يتمسكون بها ،ويشعرون أبناءهم بالقيام بها ولذا نجد من الصعب تغييرها نحو الأفضل إلا بشكل بطيء بخلاف القيم التي تستمد في بعض المجتمعات من المعتقدات الدينية التي تؤمن بها فهي صالحة لكل زمان ومكان .

"وينبغي ألا نغفل أهمية المعايير والتقاليد في حياة المجتمع إذ تشكل ضابطا مهما في تنظيم الميول والاتجاهات وتعمل على التماسك الاجتماعي وتقوية بنيان المجتمع وتوجيه الفرد إلى المسار الصحيح "[1] .

هذا المسار الذي يعرقله نوع من الخوف اتجاه الحياة يجعله يواجه ذلك العجز وذلك الضعف وانصراف المرأة عنه لاستعادة ذكريات مغامراته والإغراق في وصفها إلى جانب الحديث عن قوته وأوج تألقه في زمن شبابه ،فيقدم خلاصة تجربته ويعرض صورة الماضي عند مواجهة عذاله مما يجعله يشعر بوجوده و الارتباط بواقعه رغم إحساسه بالاغتراب عن ذاته وعن المجتمع .

ويزيد إحساس الشاعر بالقلق والأسى عندما يعذل على أمور تتصل بشؤون قبيلته أو بحياته الخاصة ،ويعجز عن إثبات ذاته أمام تلك المحن والمصاعب ،ولعل في دراستنا لبواعث العذل الاجتماعية ما يلقي ظلالا على دور العذل في حياة الشاعر ومدى صموده أمام ما يحيط به من ظروف قبيلته أو متغيرات اجتماعية .

[1] إبراهيم ناصر ،علم الاجتماع التربوي ،دار المعارف ،القاهرة ،مصر، 1984،ط1،ص252.

4-1- العذل والشيب :

قاسى الشعراء مشيبهم وما ألحقته بهم مرحلة الشيب من ضعف في القوة ووهن في الحواس ،فأصبحوا عاجزين عن النهوض وتلبية متطلباتهم فأصبحت تلك بالنسبة إليهم هموما كبيرة خاصة بعد إدبار الآخرين عنهم فقاسوا ما قاسوه من الغربة والوحدة في حياتهم وذلك لمحو المشيب أثارهم وتعبيده الطريق بينهم وبين الموت .

وباستقرائنا للنصوص الشعرية الجاهلية التي دارت حول هذه الجوانب وجدنا أنهم قد أطالوا النظر في المشيب يتأملون جوانبه ،ويصورون أثره على النفس الإنسانية ،فكأنها تجارب إنسانية تعبر بجلاء عن أثر الزمان والأحداث المصاحبة له على حياة الشاعر ونظرت الآخرين له .

لذلك نجد مواجهة الشاعر للعذل على مشيبه ودفاعه عن ذاته يتخذ صورتين إحداهما الارتداد إلى الماضي بحثا وراء الشباب بما يحمله من فتوة وقوة ليتعارض معها ثانيهما بحاضره الذي يرمز لعجزه وضعفه ، أين نجدهم قد افتتحوا بعض قصائدهم بالحديث عن الشيب والشباب وجزعهم من الأول رغبة منهم في العودة إلى الثاني و الحنين إلى أيامه خاصة بعد ابتعاد الناس عنهم وفي مقدمتهم ابتعاد المحبوبة ،فهذا مالك بن حريم في مطلع قصيدته قد أبدى جزعه من الشيب في قوله [1] :

جَزِعْتَ وَلَمْ تَجْزَعْ مِنَ الشّيْبِ مَجْزَعَا وَقَدْ فَاتَ رِبْعِيٌّ الشّبَابِ فَوَدِّعَـــا
وَلاَحَ بَيَاضٌ فِي سَوَادٍ كَـــــــأَنّهُ صُوَارٌ بِجَوٍّ كَانَ جَدْبًا فَأَمْرَعَـــا
وَأَقْبَلَ إِخْـــــوَانُ الصّفَاءِ فَأَوْضَعُوا إِلَى كُلِّ أَحْوَى فِي الْمَقَامَةِ أَفْرَعَـا

نلاحظ من خلال الأبيات الشعرية جزع الشاعر من المشيب إلى الشباب وانصراف إخوان الصفا عنه .

[1] الأصمعي ،الأصمعيات ، ص38

وغالبا ما يلجأ الشاعر عند مواجهة العذل إلى استعادة ذكريات الماضي المليئة بالبطولات المجيدة والمغامرات العاطفية فهو يحاول إعادة القوة والمجد في حياته ،ولكن إحساسا ما يستبطن الشاعر بأن الزمن قد اغار على حياته وبدد كل مظاهر سعادته ، وغير نظرة الآخرين ،تلك النظرة التي ملؤها الإحساس بعجزه وضعفه وحاجته الماسة إلى من يساعد ويسانده في الحياة لذا نجده يحن إلى ماضيه " فالحنين إلى الماضي محاولة الإنعتاق من وطأة الحاضر وهو غربة عن الواقع (الحاضر)فحين يشعر المرء أن حياته قد قست عليه فإنه يجد متنفسا بالهروب منها إلى الماضي "[1]وقد "عدً احد الدارسين العودة إلى الماضي تعويضا عن الشيب" [2].

4 2 -العذل والقبيلة :

تمثل القبيلة كيان سياسي واجتماعي مستقل ،حيث تضم بين ثناياها جماعات بشرية يجمع بين أفرادها النسب المشترك .

ولهذا نرى الفرد يخضع لرأي القبيلة الجماعي فلا يخرج عليه حتى لا يؤدي إلى تمزيق وحدتها والحط من قدرها أمام القبائل .

" إن تلك العصبية من ضرورات الحياة فيحتمي الأعرابي بها في دفاعه عن نفسه وماله وذلك لانعدام سلطة الأمن في ذلك الزمن ،حيث تأخذ العصبية الحق للإنسان ،لذا لا بد من التقيد بقوانينها والالتزام بأعرافها " [3] .

لذا نجد حياة القبائل سلسلة من الحروب تتوقد نيرانها لأسباب اقتصادية واجتماعية كالحصول على المرعى والأخذ بالثأر وغير ذلك .

[1] عبد الرزاق الخشروم ،الغربة في الشعر الجاهلي ،منشورات اتحاد الكتاب العرب ،دمشق ،سوريا، 1984م، ،ط2،ص241.
[2] أحمد الحوفي ،الغزل في العصر الجاهلي ،مطبعة النهضة العربية ،القاهرة ،مصر، 1961،ط2،ص96.
[3] جواد علي ،المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ،دار العلم للملايين ،بيروت ،لبنان، 1969م،ط2،ج 4،ص312.

وانطلاقا من تلك الأسباب نجد الشاعر العربي حريصا على الدفاع عن ذاته وعن قبيلته فهو يقوم بأفعال ومواقف يراها الآخرون أساسا وموجبة لعذله ومنقصة ومذمة له لذلك يواجه الشاعر ذلك العذل الذي يثير حفيظته .فيرد على عذاله بما يحفظ كرامته ،بل يتطاول عليهم بما يتلاءم مع شدة الموقف في لهجة العذال .

وبتأملنا وتمحيصنا للنصوص الشعرية التي تدور حول عذل الشاعر على أفعاله نجد أن دفاعه يتمركز على دافعين مهمين ،أولهما الدفاع عن ذاته حيث يكون هو الغالب على النصوص الشعرية التي تتباين فيها المؤثرات السياسية والاجتماعية التي تؤثر بدورها في سلوك الشاعر ،فنجده متمسكا بموقفه ومحاولا تبريره ،كالحرص على الأخذ بالثأر لقريب له أو لشخصية مرموقة في قبيلته ،حيث كان هذا أحد المواقف التي يتخذها الشاعر الجاهلي .

وقد كانت بعض هذه المواقف حسنة كانت أو سيئة تثير غيظ عذاله .

أما الدافع الثاني من رصد الشاعر لتجربة العذل فهو الدفاع عن قبيلته ومدح أعمالها وبطولاتها الحربية ،حيث يشكل الفخر القدرالاكبر بين معاني القصيدة فنجد الشاعر المعذول يحرص على إعلاء كلمة القبيلة ورفع شأنها بين القبائل ،وهذا لا يعني أن الدفاع عن تلك المواقف يخضع لذاتية الشاعر .

بل نجد العربي في النظام القبلي " كان يتأرجح بين قطبين فردية تدفعه إلى رفع كل ضغط وتثبيت الحقوق الدائمة لنفسه اتجاه الحقوق الاجتماعية ،وتعلق من ناحية أخرى بجماعته بصورة عميقة قد تصل على التضحية بالنفس " [1].

[1] بلاشير ،تاريخ الأدب العربي ،ترجمة إبراهيم الكيلاني ،دار القلم، دمشق ،سوريا، 1956م ،ط1،ص35.

1 اللغة الشعرية:

تعتبر اللغة الوسيلة التي يوظفها الشاعر لنقل وتبليغ بضاعته الشعرية للآخرين، واللغة الشعرية لا تقتصر على متن الأفكار، وإنما يحاول الشاعر بواسطتها توصيل أحاسيسه إلى الآخر المتلقي مرتكزا في ذلك على العديد من العناصر اللغوية التي تسهم في تحقيق ذلك.

وقد تبين لنا من خلال دراستنا لشعر العذل تجلي بعض الظواهر اللغوية التي التحمت مع واقع تجربة الشاعر ومواجهته لموقف العذل ومن أبرز هذه الظواهر:

أولا : المعجم الشعري:

باستقرائنا من القاموس اللغوي الذي استخدمه الشعراء المعذولين نجد أن الألفاظ التي استخدموها كانت تتلاءم مع حالاتهم الشعرية وتعكس واقعهم النفسي وذلك على اختلاف مواقفهم وسلوكهم. وهذه الألفاظ تحاول أن تعرض لحالة المعذول خصاله وسلوكه في الحياة.

ولعل اتفاق الشعراء في الموقف والحالة النفسية جعلت ألفاظه تكاد أن تتشابه بما يتفق مع بواعث العذل ومواقفه المتعددة، فإذا كان موقف التحدي والإصرار كانت ألفاظه ذات جرس قوي بخلاف إذا كان الموقف غزليا فإن الألفاظ العذبة الرقيقة بجرسها الإيقاعي تحتل حيزا واسعا في مفردات القصيدة.

وقد أكد الجرجاني أن " لكل نوع من المعنى نوعا من اللفظ هو به اخص وأولى وضروري من العبارة هو بتأديته أقوم وهو فيه أحلى ".[1]

والعامل الزمني يؤثر في اختيار التعبيرات اللغوية، حيث ترد ألفاظ ذات بعد إيحائي في لغة الشعر لتعبر عن واقعه.

[1] الجرجاني، الرسالة الشافية ، تحقيق: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، د ت ، د ط، ص 107.

ففي شعر العذل على الحزن المرتبط بغرض الرثاء نجد الشعر يسلط الضوء على حقيقة الموت والفناء، فترد الألفاظ التي توحي باليأس والحزن مثل الموت، البكاء، الأرق الحسرة، الفجيعة، ...

بينما نجد الشعراء في باعث الغزل يكثرون من الشوق والحنين والهوى والوجد والفراق. ويغلب على الشعراء في باعث الكرم ترديد المفردات المتصلة لغاية الكرم وأهدافه فتكثر الفراد، الثناء، والذكر .

والمتأمل في نصوص الأدب يكشف عن مدى الجهد والمعاناة التي يبدلها الشاعر وتنسيق الألفاظ وتنظيمها .

- **الزمن :**

يعد الزمن في النصوص الشعرية محورا مهما ضمن الحاضر والماضي والمستقبل، فهو يحدث إطار الخاص للنص بمستويات المتتالية، فيحدد بذلك بؤرة النص" وقد اتخذت استجابات الشاعر للزمن صورا مختلفة أمام مواجهة العذل، وتمثل ذلك في التصدي للعاذل وتأكيد على استمرارية مسلكه ومن هذه الاستجابات الإصرار على الكرم وبذل المال رغبة في إحياء الذكر في زمن المستقبل وكذلك البحث عن اللذة وإشباع الرغبات للتمتع بها في زمن الحاضر سواءً كان السلوك شرب الخمر أو سرد لمغامراته العاطفية"[1]

وقد يكون الزمن وسيلة من وسائل إحلال التوازن في عالم الشاعر فيكثف من صور الماضي المليء بالأعمال البطولية والمغامرات العاطفية وذلك عند مواجهته للعاذل الذي يؤنبه على شيبه.

[1] مصطفى ناصف ، قراءة ثانية لشعرنا القديم، دار الأندلس، القاهرة ، مصر ، 1981م، ط2، ص ص 4- -50.

ثانيا: الظواهر الأسلوبية:

استعمل الشعراء الصعاليك في تعاملهم مع موضوع العذل بعض العناصر الأسلوبية اللفظية التي شكلت عنصرا مهما في التشكيل الفني للنص الشعري.ومن أبرز هذه العناصر:

أ -الاستفهام:

هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما عند المستفهم، وله في اللغة العربية أدوات خاصة، يتم عن طريقها نقل معنى الجملة من الخبرية إلى الإنشائية.

يظهر هذا الأسلوب في شعر الصعاليك بأدوات إستفهامية مختلفة، يكاد يكون أكثرها حضورا هو همزة الإستفهام، وتليها الأداة (هل)، وفي أغلب الظن أن سبب انتشار الهمزة هو ما تمتاز به من مرونة في الاستفهام، وفي التصور والتصديق ومن إمكان حذفها مع بقاء دلالة الاستفهام. ومن أمثلة ذلك قول " تأبطا شرا " [1]:

أَغَرَّكَ مِنّي يا اِبنَ فَعلَةَ عِلَّتي عَشِيَّةَ أَن رابَت عَلَيَّ رَوائِبي

وقد يجسد الإستفهام حالة القلق والتوتر عند الشاعر، فيسعى إلى مخاطبة ذاته لمواجهة المصير المحتمل والثبات عليه ويتجلى ذلك الإحساس عند الشعراء المغامرة المخاطرة كقول عمر بن براقة : [2]

تَقولُ سُلَيمى لا تَعَرَّض لِتَلفَةٍ وَلَيلُكَ عَن لَيلِ الصَعاليكِ نـــائِمُ

وَكَيفَ يَنامُ اللَيلَ مَن جُلُّ مالِهِ حُسامٌ كَلَونِ المِلحِ أَبيَضُ صـارِمُ

والاستفهام في باعث الشيب هو يعبر بصدق عن إحساس الشاعر بالعجز والضعف ورغبته في العودة إلى أوج تألقه في زمن شبابه.ويتمثل ذلك بقول نافع الفقعسي:[1]

[1] تأبط شرا، الديوان، ص58.
[2] ابن ميمون، منتهى الطلب،ص17.

قالت : كبرت ! وكل صاحب لذة لبلى يعـــود ، وذلك التتبيب

هل لي من الكبر المبين طبيب فأعود غرا ؟ والشباب عجيب

الاستفهام يصبح مثلا أساسيا في باعث الغزل فلم يكتف الشاعر فيه بتوجيه التساؤلات الى ذاته أو إلى عاذله، وإنما يوجهها إلى ذوي المعرفة عن دواء الصبابة والعشق ودواء العاذلة التي ألحت في عذله

ب – الأمـــــر :

إن تركيز الشعراء الصعاليك على صيغة فعل الأمر تأتي من كونها تعطي الحدث المطلوب مقترنا بسلطة الآمر.

وصيغة الأمر ترد كثيرا في العذل ومختلف بواعثه، ولعل ذلك يعود إلى تنامي حس الغضب والصراع لدى المعذول واحتدام المواجهة مع العاذل، فيحاول الشاعر إعادة التوازن نفسي إلى ذاته وحفظها والتأكيد على صحة مسلكه.

فالشنفرى يطلب من زوجه أن تترك عذله وتثريبه على تعرضه للمخاطر فلا بد من موافاة الأجل يوما ما فيقول : [1]

دَعِيني وَقُولِي بَعْدُ ما شِئْتِ إِنَّني سَيُغْدَى بِنَعْشِي مَرَّةً فَأُغَيَّبُ

خَرَجْنَا فَلَمْ نَعْهَدْ وَقَلَّتْ وَصَاتُنَا ثَمَـــانِيَةٌ ما بَعْدَها مُتَعَتَّبُ

ويأتي صوت عروة بن الورد بقوله (أقلي اللوم) ليحمل دلالة على عدم رفضه للوم لأن ما يقوم به يستحق ذلك،فيريد من الآخر أن يخفف لومه ، ويجسد ذلك الصوت قلق الشاعر وقسوة مطلب العاذلة فيقول:[2]

---

[1] أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، أمالي الزجاجي، تحقيق: عبد السلام هارون، المؤسسة العربية الحديثة للطبعة والنشر، القاهرة، مصر، 1974، د ط، ص 127.

[2] عروة بن الورد ، الديوان، ص 35.

أَقِــلّي عَــلَيَّ الــلَومَ يا بِنتَ مُنذِرٍ وَنامي وَإِن لَم تَشتَهي النَومَ فَاسِه

ولم تنحصر أفعال الأمر بمفردات العذل واللوم واللحي وإنما قد ترد بصيغ أخرى تحمل في مدلولها الرفض بشدة لمطلب العاذلة وقد يخرج معنى الأمر من الدلالة على الطلب إلى الاستهزاء والصخرية.

جـ - النـــهي:

وهو طلب الكف عن الفعل أو الامتناع عنه على وجه الاستعلاء والإلزام وصيغته هي: (لا تفعل)، وردت هذه الصيغة في شعر الصعاليك نحو قول " عروة بن الورد: [1]

لاَ تلُم شِيْخِي فمَا أَدْرِي بِهِ غير أن شَارك نهداً في النَسبِ

ويلحظ أن أثر أسلوب النهي الدلالي لشعر الشنفرى يعود إلى الشاعر، أي أن أثر النهي يتعلق به، وقد يكون ذلك ناتجا عن إحساسه بالقهر الاجتماعي، وأنه فريسة لمجتمعه الذي تمرد عليه فيقول: [2]

ألاَ لا تلُمنِي أن تَشَكَيْتُ خُلتِي شَفَانِي بِأعلى ذي الحُمَيْرة عذْرَتِي

ولا يكتفي الشعراء أحيانا بنهي العاذلة عن العذل، إنما تزداد نبرة النهي الجادة التي تحمل دلالات التأكيد لموقفهم والترهيب للعاذلة، فيخرج بذلك النهي عن معناه الأصلي من الكف عن الفعل إلى التهديد والوعيد للعاذلة.

د- النـــــــــداء:

وهو تنبيه المدعو ليقبل عليك، وفي شعر الصعاليك فقد وردت الأدوات (يا، الهمزة، و أيا). وكانت الأداة (يا) الأكثر استعمالا.

[1] عروة بن الورد، الديوان، ص 35.
[2] المصدر نفسه ، ص 99.

والصعاليك بهذا لا يخرجون عن مألوف النداء، وذلك أن الأداة (يا) هي الأكثر حضورا في أسلوب النداء في اللغة العربية وتشكل صيغة (أعاذل) أبرز الصيغ الندائية فقد بدأ الشاعر في التقرب من العاذل محاولا إقناعه برؤيته حول سلوكه، وقد انعكست مقاومة الشاعر في العذل في أمرين:

أولهما: باعث العذل الذي يمثل التضاد بين الشاعر وعاذله، والآخر فني يشمل أصوات لغوية والصيغ المستخدمة كاسم الفاعل فهي صيغة تدل على الثبوت والاستمرار فكأنها تعكس استمرارية العذل وملازمته للشاعر.وقد يخرج معنى النداء عن طلب مناداة شخص إلى معنى الرجاء والتمني وذلك باستعمال ألفاظ تحمل دلالة قرب العاذل من الشاعر ومحاولته لاسترضاء العاذل وتصحيح رؤيته حول سلوك المعذول. ويبدو ذلك جليا عند السليك بن السلك الذي عاتبته زوجته على مخاطرته بنفسه فأخذ يبين لها بترفعه عن الدنايا وحاجته إلى المعالي حتى لو أدى ذلك إلى رثاثة هيئته حيث يقول :[1]

ألا عتَبَتْ عليّ فصارَمَتْني وأعـــجبَها ذوو اللِّمم الطّوال

فإني يا ابنة الأقوام أربى على فضل الوَضيء من الرّجال

فهو هنا يضع فكرة المبدأ وموقفه من الحياة بأسلوب النداء يغلب عليه الهدوء والتأني لا الغضب والحدة وخاصة في قوله (يا ابنة الأقوام) فهو يسعى إلى إقناعها بفعله.

هـــ- التجريد:

وهو ظاهرة بلاغية لها دلالة حيوية في سياق التجربة الشعرية، وقد وظفها الشعراء الصعاليك في مقدمة القصيدة، وقد تناول ابن الأثير الحديث عن التجريد بقوله :" فأما حد التجريد فإنه إخلاص الخطاب لغيرك وأنت تريد به نفسك لا المخاطب نفسه"[2]

[1] المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1986م، ط1، ج2، ص 298.
[2] ابن الأثير ، المثقل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تقديم وتحقيق: بدوي طبانة، مطبعة نهضة مصر، 1973م ، ط2، ج2، ص 159-163.

والتجريد من حيث هو عنصر أساسي له من السيادة والانتشار ما يجعله يتحول إلى ظاهرة سادت في القصائد، وأول ذلك يعود إلى طبيعة الحياة بأنماطها الانفعالية والأخلاقية فقد يتجه الشاعر مع ذاته فينفصل عنها ويجري الخطاب لغيرها، وقد يريد به نفسه، ولعل ثمة أسباب دفعت الشاعر إلى ذلك فقد يعود إلى شدة الموقف النفسي للحديث وصعوبة مواجهته، فيحاول أن يخفف من حدة أحزانه وتأزمه، فيتجاوز ذاته كأنها شخص ماثل أمامه يتلقى منه العذل على سوء مسلكه، فيفيض الشاعر في الدفاع عن ذاته.

أما التجريد المحض فنجده في قول عبد الله بن الحشرج بعد استعراضه لموقف عاذلته التي أخذت تلومه على كرمه فلجأ إلى مخاطبة شخص ماثل أمامه قد يكون رمزا لذاته قائلا:[1]

فعِش ناعِمًا واترك مقالة عاذل يلُومك فـــــي بذل الندى ويُفَنِدُ

وجد باللُّها إن السمَاحةَ والنَدى هي الغَاية القُصوى وفيها التَمَجدُ

إن لجوء الشاعر للتجديد يؤكد عجزه عن مواجهة الموقف ورغبته في الإفصاح عن انفعالاته الداخلية فيلقي تلك التساؤلات أمام شخص آخر يحاول بذلك إقناع نفسه بسلوكه الملام عليه بالإشارة إلى المساوئ التي قد تترتب على تمثله لذلك السلوك .

و- استخدام الأسلوب قصصي:

إن تتابع الأحداث وتداخلها وسرد البطولات وعقد الحوار بين الشاعر والعاذل بمثابة ملامح قصصية متناثرة بين أجزاء القصيدة تكشف تلك الملامح عن رغبة الشاعر في قص أحداث حياته التي تثبت أمام عذاله صحة مسلكه الملام عليه، أو يرغب ذاته في ثبات موقفها خاصة إذا كان الشاعر يعذل على مغامرته بنفسه.

[1] أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق:إبراهيم الأبياري، القاهرة، مصر، 1969م، ط1، ج12، ص 22.

ولم تكن الحكاية في شعر الصعاليك عملية سرد مجردة بل كانت تصويرا فنيا للوقائع والأحداث التي جاء الشعر الجاهلي زاخرا بها، وهي حكايات عرضت حال الشاعر أو حال الغابرين بما يشعر الدارس بعناية الذوق السائد آنذاك، ويجد الدارس في شعر الصعاليك سردا لحكايات قد تكون خيالية أو واقعية إلا أن آلية الحكاية الواقعية في شعر الصعاليك وميلها إلى الجانب الواقعي أكثر من الجانب الخيالي. والأمثلة الشعرية كثيرة التي إشارة إلى كثافة الصور التي تضمنت حكايات واقعية في شعر الصعاليك، خاصة تلك التي صورت غاراتهم ومغامراتهم، وقد اعتمدوا في حكاياتهم تلك أحيانا أسلوب السرد، فعروة بن الورد يحكي قصته مع أصحابه الصعاليك حينما تنكر له بعضهم:

وفي هذه الأبيات رسم عروة صورة لما جرى له مع الصعاليك دون أن يدخل صوت آخر إلى أنه أدخل عنصر الحوار في حكايته عندما وجه حديثه إلى القِدر التي كان يعد لطعام بها للصعاليك فقال:[1]

وقلت لها يا أم بيضاءً، فتيـــــة طعـــامهم من القدور المعجل

مضيغ من النيب المسان ومسخن مـــن الماء تعلوه بآخر من عل

ويمكن القول بأن تلك الملامح القصصية وجدت عند الشعراء المعذولين وبرزت بشكل واضح فقي قصائدهم المطولة وتنوعت مضامينها من باعث إلى آخر وظهرت أغراض ونماذج متعددة للقصة من أبرزها قصص البطولة وهي تكثر في باعث المغامرة والمخاطرة، حيث يشير الشاعر بمواجهته للأخطار، وولوجه ساحات القتال، وقصص الحيوان ومن أهمها قصص الصيد التي غرضها المتعة، وقد وردت تلك القصص في باعث الحزن كما هي عند أبي ذؤيب الهذلي وقد مثل لنا الصور التي يهزم فيها الثور، فقد

[1] عروة بن الورد، الديوان ص 79.

أوشك أن يفوت الكلاب إلا أن الدهر له بالمرصاد ، فقد أحدثت الكلاب هزيمة له رغم حرص الثور على البقاء فيقول : [1]

وَالــدَهرُ لا يَــبقى عَلى حَدَثانِهِ شَــبَبٌ أَفَــزَّتهُ الــكِلابُ مُــروَّعُ

شَعَفَ الكِلابُ الضارِياتُ فُؤادَهُ فَـــإِذا يَرى الصُبحَ المُصَدَّقَ يَفزَعُ

وَيَــعوذُ بِــالأَرطى إِذا مــا شَفَّهُ قَـــطرٌ وَراحَــتهُ بَــلِيلٌ زَعــزَعُ

وهناك نوعا من القصص جاء في قالب اجتماعي وشمل مختلف بواعث العذل كالباعث المالي والباعث الاجتماعي.

ي- التــكرار:

يعد التكرار من الظواهر الأسلوبية التي تستخدم لفهم النص الأدبي وهو يعكس جانبا من الموقف النفسي والانفعالي ومثل هذا الجانب لا يمكن فهمه إلا من خلال دراسة التكرار داخل النص الشعري الذي ورد فيه وقد عرفه ابن معصوم بقوله:" التكرار وقد يقال التكرير، فالأول اسم والثاني مصدر من كررت الشيء إذا أعدته مرارا، وهو عبارة عن تكرير كلمة فأكثر في بالمعنى واللفظ لنكتة إما للتوكيد، أو لزيادة التنبيه، أو للتهويل أو للتعظيم والتلذذ بذكر المكرر" .[2]

وأنماط التكرار على تعددها في شعر العذل مرتبطة إرتباطا وثيقا بالموقف الذي يتخذه الشاعر من عذله حتى يكون ذلك التكرار للألفاظ حروفا وأفعالا وأسماءًا.

[1] المفضل الضبي،المفضليات ، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف ، القاهرة ، مصر، د ت ،ط6، ص 155.
[2] ابن معصوم المدني، أنوار الربيع في أنواع البديع، تحقيق: شاكر هادي، مطبعة النعمان، النجف الأشرف،العراق، 1969م ط1، ج5، ص 345-352.

ويحرص عروة بن الورد على التقليل من مخاوف مغامرته بنفسه وإثبات التحدي والمواجهة أمام المصاعب والأخطار، فليحظ تكرار مفردات الخوف في أبيات القصيدة، حيث يقول:[1]

أَرَى أُمّ حسَّانَ الغَدَاةَ تَلُومُنِـــي تُخَوّفُنِي الأعدَاءَ والنَّفسُ أَخْـوَفُ

تَقُولُ سُلَيمَى لَو أقَمْـتَ لسرّنَـا ولَمْ تَـدرِ أنِّـي للمُقَـامِ أُطَـوّفُ

لَعَـلَّ الذي خوّفتِنَـا مِـن أمَامِنَـا يصادفُـه فِي أهلِـهِ المتخلِّـفُ

وقد يكرر الشاعر اسم اللائمة أكثر من مرة وذلك لتأكيد رؤية الملوم وصواب مسلكه،وفي المقابل نجد تكرار اسم المحبوبة عند رد الشاعر على عاذليه، فهي المرآة التي يعبر من خلالها عن تجربته القاسية ومعاناته في غرامه، وحرصه على التمسك بموقفه أمام عاذليه.

2 الصورة الشعرية:

تشكل الصورة الشعرية لوحة فنية منسجمة يقوم الشاعر برسمها، ليعطيها رؤية شعرية، تنطوي تحت هذه الصورة أحاسيس ورؤى مبدعة.

وقد أشار الجاحظ إلى دور المعنى في الصياغة الفنية " والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء في صحة الطبع وجودة السبك فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير" [2]، فالصورة هي تركيب للفظ في موضعه الأصلي.

[1] عروة بن الورد، الديوان ن ص 51.
[2] الجاحظ ،البيان والتبيين ، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، مصر، 1960، ط1، ص 120.

وتعد دراسة عبد القاهر الجرجاني" في كتابه : دلائل الإعجاز" لتكشف عن جماليات الصورة الشعرية وقيمتها في إثراء المعنى وكذا وقعها في النفس حيث يقول :" واعلم أن قولنا الصورة إنما هو تمثيل لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا ... عن ذلك بالصورة .شيئا ابتدأناه فينكره منكر بل هو مستعمل مشهور في كلام العلماء ويكفيك قول " الجاحظ" (وإنما الشعر صياغة وضرب من التصوير) "[1].

وللخيال دور مهم في خلق الصورة، بل هو باعث أساسي فبفضله تسبح في آفاق تختلف عن الواقع والحقيقة.

إن أهمية الصورة تبدأ بأصالة المعنى وخصوصيته التي تقوم الصورة بتوفيره،ثم يليه الأثر الذي يتركه في الملتقي ويأتي بعد ذلك الوصول بالشعر إلى وظيفته وأهميته.

وبما أننا بصدد دراسة ظاهرة العذل في شعر الصعاليك فإننا سنقوم بتقسيم الصورة الشعرية إلى نوعين حسبما قرره النقاد في الشعر العربي:

أ -الصورة التقريرية:

وهي التي تقوم على التعبير المباشر بالألفاظ لكي تتلقى الأذهان صور المحسوسات فتثير المشاعر وتولد الأفكار فيصل بذلك إلى تجسيم المعاني وشحنها باللمسات الواقعية حيث تعبر عن ذكريات خاصة شخصية " [2] فهذا النوع من الصور لا يقوم بإدخال الخيال ويقوم بنقل الواقع كما هو.

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز،تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة مصر، 1993،ط3،ص،508.
[2] كمال حسن البصير، بناء الصورة الفنية في البيان العربي، مطبعة المجمع العلمي العراقي،بغداد، العراق، 1987م، ط1، ص 268.

ب -الصورة الفنية:

وهي التي تمتاز بالدقة في الصياغة وروعة التعبير وجمال التصوير فتمنح الصور المشاعر والانفعالات "[1] ففي هذا النوع يتدخل الخيال في صياغة الصورة.

انطلاقا من هذا التقسيم ستكون دراستنا للصور في شعر العذل من هذا المنظور (تقريرية ، فنية)، وتبيان قيمة هذه الصور وشعورنا تجاهها.

إن الصورة في الشعر فلسفات جمالية متنوعة تبرز فيها الحيوية ، وذلك لتآلفها تآلفا عضويا وليس مجرد حشد مرصوص من العناصر الجميلة، فالصورة أداة تعبيرية ولا يلتفت إليها في ذاتها"[2].

وفي ضوء هذا التقسيم ستكون دراستنا للصور في شعر العذل باختلاف بواعثه المالية والإنسانية والأخلاقية والاجتماعية وما يتفرع من هذه البواعث وما يتصل ببيان الموقف الدفاعي للمعذول وتحديد رؤيته حول مسلكه وشعوره تجاه العاذل.

1 -الصورة التقريرية:

إن الصورة التقريرية تعتمد على حقيقة وقعت أمام الشاعر يحرص على تبيانها وجلائها إلى الواقع، أين يحرص المعذول على إبراز حقيقة دفاعه عن موقفه من العذل، فكثيرا ما يتغنى الشاعر ببطولته الشخصية والقبلية تفخيما لذاته وتخليدا لذكراه حتى يثبت تفوقه وصموده أمام الأخطار المحدقة به، وتأتي هذه المعاني عند مواجهة العذل ، وأكثر ما نرى هذه الظاهرة عند عروة بن الورد فالعديد من قصائده ومقطوعاته تبدأ بحوار بينه

[1] نصرت عبد الرحمن، في النقد الحديث دراسة في مذاهب نقدية حديثة وأصولها الفكرية، مكتبة الأقصى عمان، الأردن ، 1979،ط1،ص19.
[2] عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1978م، ط2، ص 143.

وبين صاحبته وهي تلومه على كرمه، وتعاتبه على مخاطرته بحياته، حاثة أياه على البقاء إلى جانبها يقول :[1]

تَقُولُ سُلَيمَى: لَو أقَمْـتَ لسرّنَـا ولَمْ تَـدرِ أنِّـي للمُقـامِ أُطـوّفُ

وفي مرات أخرى يتحدث عن الدمع الذي ينهل من عينيها الجميلتين تقول:[2]

ألا أقصرْ من الغزو واشتك لـها القولَ طرفٌ أحورُ العينِ دامعُ

وتارة يتحدث بتخويفه الأعداء الذين يتربصون به [3]

أرى أم حسان الغداة تلومني تخوفني الأعداء والنفس أخوف

وغالبا ما نجد الشاعر في أيام شبيه يسترجع ذكرياته الماضية عندما يثيره عذل الآخرين له، فقد تكون تساؤلاتهم حقيقية أو مفتعلة من تصورات الشاعر فينبري في إظهار صورة شهامته ورجولته.

أما في الباعث المالي فنجد الشاعر يفخر بعطائه باختلاف غايته ومقصده ومن كسب ثناء أو كفاية إنسانية يهدف من ورائها إلى مساعدة المحتاجين، أين نجد " تأبط شرا " لا يبقي على مال، ويجد لوما عانفا من اللائمين واللائمات، ولكن هذا اللوم لا يثنيه عن خلقه في البذل والعون، ويهددهم في قصيدة بهجرهم إلى الأبد، بحيث لا يعلمون عنه بعد ذلك خبرا، ولا يجدون له أثرا حيث يقول :[4]

بَلْ مَنْ لِعَذَّالَةٍ خَذَّالَةٍ أَشِـبٍ حَـرَّقَ باللَّوْمِ جِلْدِي أيَّ تَحْرَاق

يَقُولُ أَهَلَكْتَ مَالاً لَوْ قَنِعْتَ بِهِ مِنْ ثَوْبِ صِدْقٍ وَمِنْ بَزٍّ وَأَعْلاَق

[1] عروة بن الورد، الديوان ، ش ابن السكيب ،دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د ط، 1997م، ص 93.
[2] المصدر نفسه، ص 93.
[3] المصدر نفسه، ص 94.
[4] تأبط شرا ، الديوان ، ص 88.

عَاذِلَتِي إنَّ بَعْضَ اللَّوْمِ مَـعْنَفَةٌ وَهَلْ مَتَاعٌ وَإنْ أَبْقَيْتُهُ بـَـــاق

إنِّي زَعِيمٌ لَئِنْ لَمْ تَتْرُكُوا عَـذَلِي أَنْ يَسْأَلَ الْحَيُّ عَنِّي أَهْلَ آفـَاق

أنْ يَسْأَلَ الْقَوْمُ عَنِّي أَهْلَ مَعْرِفَةٍ فَلاَ يُخَبِّرُهُمْ عَـــــنْ ثَابِتٍ لاَق

سَدِّدْ خِلاَلَكَ مِنْ مَالٍ تُجَمِّعُـــــهُ حَتَّى تُلاَقِي الَّذي كُلُّ امْرِىءٍ لاَق

وهكذا نجد تأبط شرا بعد إنفاقه ماله، لا يحس شعورا بالفخر ولا رغبة في المباهاة، إنما يجد حربا مع لائميه وعذاله من أهله، وهي حرب لا تزعزع إيمانه بمسلكه، بل تزيده إصرارا عليه.

وتكثر الصور التقريرية في شعر العذل التي يكون موضوعها نقل معاناة الشاعر وما يشعر به اتجاه الآخرين بعيدا عن التخيل، ولهذا السبب جاءت أغلب الصور تتسم بالواقعية والمباشرة في مشاهدها وتراكيبها اللغوية، فقد كانت تحمل معان الرفض وعدم الانصياع والخضوع لأمر العاذل، وتثبت في أبعادها صحة مسلك الشاعر وتوجهه في الحياة التي يعيشها.

2 الصورة الفنية :

تتسم الصور الفنية في شعر العذل بالتعدد والتنوع، إلا أن التشبيه أكثر الأنواع البلاغية في ذلك الشعر، بحيث يكون مطية الشاعر لنقل أفكاره والأحاسيس التي تختلج كيانه، فهو يحتل مكانا جوهريا لدى الشاعر.

وتتجلى أهمية التشبيهات في كونها(مادة غزيرة للكشف عن جوانب الحياة والطباع ومظاهر السلوك النشاط الإنساني في أطوار البدو والحضارة) [1].

[1] علي ظافر الأزدي ، غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات، تحقيق: محمد زغلول سلام مصطفى الجويني، دار المعارف ، مصر ، 1971م، ط1، ص19.

وإذا تأملنا في التشبيهات الواردة في شعر العذل وجدنا الشعراء يستمدون صورهم من مظاهر البيئة الحيوانية والمكانية ، حيث يخضعها الشعراء إلى جملة أحاسيسهم وانفعالاتهم النفسية وخصوصا موقفه من السلوك الملام عليه الشاعر والتبرير له أمام من يقوم بعذله .

فتتعدد الصور وتختلف للتعبير عن التجارب النفسية للشعراء باختلاف مضامينها وتنوع مواقفهم من العذل وصور دفاعهم عن ذاتهم .ففي باعث الشيب أدرك الشعراء حقيقة شبابهم ورحيله، وعددوا مظاهر مختلفة من ضعف في البدن، ووهن في القوة وتبدل في الطباع بذلك حرصوا على تصوير ذلك، ولعله يدل عل اعترافه بالشيب.

فها هو أبو الطمحان يرسم صورة لشيخوخته يستخدم لونين من ألوان الحياة الاجتماعية التي عاشها وتركت رواسبها في تفكيره، فالدهر قد حناه حتى صار كالصياد الماكر الذي يحني قامته ليخفي شخصه من صيد يدنو منه ، وقد أصبح قريب الخطو متثاقلا كالأسير المقيد:[1]

حَنَتني حانِياتُ الدَهرِ حَتـــّى كَـأَنّي خاتِلٌ يَدنو لِـصَيدِ

قَصيرُ الخطوِ يَحسَبُ مَن رَآني وَلَستُ مُقَيَّداً أَمــشي بِقَيدِ

إن هذه الصور توحي بالضعف والإنكسار والتي يستخدم فيها الشعراء الصعاليك ألوان المغامرة كثيرا في رسم صورهم التشبيهية. فيدافع عروة بن الورد عن كثرة غزوه رغم كبر سنه برسم لوحة فنية مفعمة بالحركة والحيوية، أين يتذكر ماضيه المليء بالقوة والفتوة فهو كالحصان الذي يغدو ويميل عنه جلاله من شدة سرعته، وحوله الإبل والخيل تنعم برغد العيش فيقول:[2]

ويدعُونَني كهلاً، وقد عشتُ حِقبة وهنّ، عن الأزواجِ نحوي، نوازع

[1] أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني: تحقيق إبراهيم الأبياري ،دار المعارف القاهرة ،مصر ، 1929م، ط1، ،ص132.
[2] عروة بن الورد، الديوان، ص 384.

كأني حصان مال عنه جلاله أغرُّ، كريمٌ، حوله العُوذُ، راتع

وفي المقابل يصور نفسه بالضعف والهوان عندما يهرم فلا يرضى لنفسه ذلك وإنما يريد المخاطرة بنفسه عند خوضه للمعارك، ويأبى أن يمكث في بيته يطوف به الولدان كأنه فرخ نعامة في صغره إذ يقول : [1]

أليس ورائي أن ادب على العصا فيَشمتَ أعدائي، ويسأمني أهلي

رهينةُ قَعْرِ البيتِ، كلَّ عشيّـــة يُطيف بي الولدانُ أهدجُ كالرأل

ويستخدم الشعراء في باعث الحزن قدراته التصويرية في تقديم الأمثلة الحية المعبرة عن الحالة الإنفعالية التي يمرون بها، وما تثيره في النفس من مشاعر الأسى والقلق عند فقدهم لمصابهم.

وتتداخل الرؤية الخاصة للموت والحياة عند الشاعر الجاهلي بما فيها من تضاد وتناقض في الحياة إحساس بالإنتصار والموت " سلب وإغارة على ذلك " [2] ، فالصعاليك في استهانتهم للحياة في سبيل الوصول إلى الغاية التي يسعون إليها ، إنهم يريدون تحقيق مكانة في هذا المجتمع الذي يحتقرهم ويستهين بهم عن طريق فرض أنفسهم بالقوة عليه وهم في سبيل هذا لا يبالون بشيء حتى بالحياة نفسها فالموت نهاية كل حي كما يقول أبو الطمحان:[3]

لو كنت في ريمان تحرص بابه أراجيل أحبوش وأعضف آلف

إذا لأتتني حيث كنت منيـــــة يحنب بها هاد بأمرها قـــائق

[1] المصدر السابق ، ص 54.
[2] محمد علي سليمان ، الشعر الجاهلي وأثره في تغيير الواقع، منشورات وزارة الثقافة السورية ،دمشق،سوريا ، 2000م، ط1، ص 76.
[3] أبو الفرج الأصفهاني ،الأغاني ، ص114.

- **الاستعـــــــارة:**

اتفق النقاد قديما وحديثا على أهمية الإستعارة في الشعر وما يتركه والتأثير والتفسير في إطار العمل الأدبي .

" وتبدو جمالية الاستعارة عندما تتلاءم مع غاية الشاعر ونفسيته فلا تخضع لدلالة الملصقات من الصور المتخيلة وحدها" [1].

فعمد الشعراء إلى استخدام الاستعارات بغية إعطاء صورة حقيقية مبينة لسلوكهم وموقفهم العذل.

وتتصدر صورة الموت عند أغلب الشعراء الحقيقة المطلقة حيث لا يمكن لأي كان إنكارها وقد كثرت الاستعارة في تصويره للموت حيث نجد تأبط شرا يقول:[2]

وإنّ وَإنّي عُمِّرْتُ أَعْلَمُ أَنّنِي سَأَلْقَى سِنَانَ الْمَوْتِ يَبْرُقُ أَصْلَعَا

ومما يزيد المعنى عمقا وتماسكا وصورة الموت التي جسدها وجعل لها سنانا.

أما عروة بن الورد فقد يصور لنا كرمه تصويرا رائعا على حظ كبير من الإنسانية أين يشارك الفقراء في إنائه حيث يقول:[3]

إِنّي اِمرُؤٌ عافي إِنائِيَ شِركَةٌ وَأَنتَ اِمرُؤٌ عافي إِنـــــائِكَ واحِدُ

أَتَهزَأُ مِنّي أَن سَمِنتَ وَأَن تَرى بِوَجهي شُحوبَ الحَقِّ وَالحَقُّ جاهِدُ

أُقَسِّمُ جِسمي في جُسومٍ كَثيرَةٍ وَأَحسو قَراحَ الماءِ وَالماءُ بـارِدُ

ويتجلى موقفه برفضه للعذل عند تجسيده لهيئة لائمته وشكايات الطرف عينه لها بالدموع محاولة منه لصده عن المخاطرة بنفسه ويقول :[1]

---

[1] محمد بركات حمدي أبو علي، فصول في البلاغة ، دار الفكر للنشر والتوزيع، الأردن، 1983،ط1، ص 217.
[2] تأبط شرا ، الديوان، ص 217.
[3] عروة بن الورد، الديوان ، ص 138-141.

تقولُ: ألا أقصرْ من الغزو، واشتكى لها القولَ، طرفٌ أحورُ العينِ دامعُ

سأُغنيكِ عن رَجعِ المَلام بمُزْمِعٍ من الأمر، لا يعشو عليهِ المطاوع

أما الاستعارة التصريحية فنكاد لا نرى لها وجودا في النصوص الشعرية إلا ما كان من حديث عروة بن الورد قوله في معرض حديثه عن كرمه وسخاء يديه :[2]

فِراشي فراشُ الضيفِ والبيتُ بيتُه ولَم يُلهِني عَنهُ غَزالٌ مُقَنَّـعُ

أُحَدِّثُهُ إنَّ الحَديثَ مِـــنَ القِـــرى وَتَعلَمُ نَفسي أَنَّهُ سَوفَ يَهجَعُ

والشاعر هنا يصف أخلاقه ومبادئه، فهو لا يكتفي بمنح فراشه لضيف وجعله يتصرف وكأنه في بيته إكراما له، بل يجاد له ويبادله أطراف الحديث ويتسامر معه .

ومن الاستعارة التصريحية أيضا التي تفنن عروة بن الورد في رسمها على قدر من الجمال والأصالة في التعبير قوله :[3]

تبيت على المرافق أمّ وهبٍ وقد نام العيـــــــون لها كتيت

- **الكنـــــــــــــــاية :**

الكناية هي " اللفظ المستعمل فيما وضع له في اصطلاح التخاطب للدلالة به على معنى آخر لازم له، أو مصاحب له أو يشار عادة إليه، لما بينهما من الملابسة بوجه من الوجوه "[4].

وهي من أقل أضرب البيان استعمالا عند الشعراء الصعاليك وذلك لحرصهم على التعبير المباشر عن موقفهم ودفاعهم عن سلوكياتهم، فعندما يتعلق الأمر بوصف عروة بن

---

[1] المصدر السابق ، ص 61.
[2] عروة بن الورد، الديوان ، ص 61.
[3] المصدر نفسه ، ص31.
[4] عبد الرحمان حسني الميداني، البلاغة العربية أسسها أعلامها وفنونها ، دار القلم، دمشق ، سوريا ، 1996م، ط1، ص 98.

الورد لحال امرأته التي تملكها الغضب من تصرفاته فباتت ليلها تحمل غيضها وكمدها اتجاهه فنجده يكني عن هذا المعنى بقوله : [1]

تبيت على المرافق أمّ وهبٍ وقد نام العيـــــــون لها كتيت

وتتجلى دقة تصوير عروة بن الورد لزوجته أين جعل منها سوداء (المعاصم) كناية عن الفقر الذي تعيش فيه فيقول :[2]

أَبَى الْخَفْضَ مَنْ يَغْشَاكِ مِنْ ذِي قَرَابَةٍ وَمِنْ كُلِّ سَوْدَاءِ الْمَعَاصِمِ تَعتَرِي

ومن خلال دراستنا لهذه الصور المعبرة عما يتوارى في ذات الشاعر وثناياه تراءت العديد من المعاني التي كانت متوارية التي صورها الشاعر في أحسن القوالب ردا منه على عاذليه.

3 موسيقى الشعر :

الموسيقى عنصر جوهري في الشعر، لا قوام له بدونها وهي أقوى عناصر الإيحائية فيه، حتى لقد قيل أن الشعر موسيقى ذات أفكار والموسيقى في الشعر ليست حولية مضافة وإنما هي طريقة قوية للتعبير عن كل ما هو عميق وخفي في النفس وفي الحياة " فإذا كان العرب قد جعلوا الحد الأول للشعر هو الموسيقى فإن هذا كان انطلاقا من القول بأن اللغة العربية لغة شاعرة لأنها تثبت على نسق الشعر في أصوله الفنية والموسيقية فهي في جملتها فنٌ منظوم متسق الأوزان والأصوات لا تنفصل عن الشعر في كلام تألفت منه ولو لم يكن من كلام الشعراء." [3]

---

[1] عروة بن الورد، الديوان، شرح عمرو فاروق الطباع ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، 1989م، ط2، ص 61.

[2] عروة بن الورد، الديوان ، ص 31 .

[3] عباس محمود العقاد ، اللغة الشاعرة ، دار نهضة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر ، 1995م، ط2، ص 7.

ولدراسة الموسيقى في شعر العذل عند الصعاليك نتوقف عند عدة جوانب ومنها الجوانب الصوتية في البناء الموسيقي سواءً عند وصف موسيقى الشعر الخارجية أو الداخلية التي تحقق ذلك الانسجام وتلك الخصوصية التي يتميز بها الشاعر.

3 1 الوزن :

يعد الوزن دعامة من دعائم الشعر وحين حدد قدامة بن جعفر الشعر ذكر بأنه " قول موزون مقفى يدل على معنى " [1] ، وقد تناول النقاد القدامى والمحدثون القول في العلاقة بين البحور والموضوعات، فأشار ابن طباطبا أن " الشاعر إذا أراد بناء قصيدة محص المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه والقوافي التي توافقه والوزن الذي يسلس له القول عليه"[2].

واستطاع الشعراء الصعاليك أن ينظموا قصائدهم على مختلف الأوزان الشعرية لينسجوا أنغاما موسيقية تشكل انسجاما صوتيا عميق المدى.

ولم يحصروا أشعارهم باتحاد بواعثهم في بحور معنية فلم يكن هناك وزن معين خاص بباعث العذل دون الآخر، فلكل قصيدة طابعه النفسي.

وقضية الربط بين الوزن والغرض الشعري لا يمكن حسمها لفئة دون أخرى من الشعراء وخاصة عند شعراء العذل حيث يختلف بناء القصيدة، فهي إما قصيدة كاملة أو جزء من قصيدة أو مقطوعة شعرية، إلى جانب أن الشعراء في الباعث الواحد ينظمون قصائدهم على أوزان شعرية متعددة، حتى أن الشاعر مع اتحاد تجربته الفنية نجد لديه اختلاف الوزن.

وقد اتضح من خلال هذه الدراسة أن الأوزان ذات المساحة الإيقاعية الطويلة هي الشائعة عند الشعراء الصعاليك، فالبحور التي يتكون شطرها من أربع تفعيلات هي الأكثر

[1] ،قدامى بن جعفر ،نقد الشعر،تحقيق :كمال مصطفى،مكتبة الخانجي،مصر ، 1993،ط1،ص51.
[2] ابن طباطبا ،عيار الشعر،تحقيق:محمد زغلول سلام،مطبعة التقدم،الاسكندرية ،مصر،د ت،ط3،ص51.

حضورا كالطويل. وظهر ذلك في العذل على المخاطرة والمغامرة بالنفس كقصيدة عروة بن الورد (الرائية) في رده على زوجته إذ يقول :[1]

أَقِلِّي عَلَيَّ اللّوْمَ يَابْنَةَ مُنْذِرِ وَنَامِي فَإِنْ لَمْ تَشْتَهِي النّوْمَ فَاسْهَرِي

ثم تأتي البحور المتوسطة كالوافر والرمل " ولعل ذلاك يعود أن موضوع العذل لا يعكس انفعالا فحسب، وإنما يضم أيضا دفاعا عن الذات يضطر معه الشاعر إلى اختيار مساحة إيقاعية فهو بحاجة إلى بث همومه وآلامه "[2].

وتشير الدراسات الإحصائية الخاصة بشعر العذل إن الوزن السائد في ما جمع من قصائد هو البحر الطويل، ثم يليه البحر الوافر ثم الكامل، أما البحور القصيرة فيقل عددها عند الشعراء الصعاليك المعذولين وقد يعود ذلك إلى عدم الملاءمة بين موضوع العذل والبحر القصير، فالنظم في ساعات التأمل الذاتي في مواقف الحياة يميل إلى اختيار البحور الطويلة .

3 2 القـــــــــــــــافية :

تعد القافية دعامة من دعائم التناسق الصوتي التي يقوم عليها الشعر، وقد أشار من ابن قدامة إلى أهميتها فهي" تشكل مع الوزن وحدة موسيقية في القصيدة فالقافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى شعرا حتى يكون له وزن وقافية".[3]

" إن القافية ذات صلة وثيقة بغرض القصيدة، فلا بد أن يؤتى بها لتتمة البيت، بل لا بد أن يكون معناه مبنيا عليها فهي نهاية طبيعية لأبيات القصيدة لا يسد غيرها مسدها، فقد

[1] عروة بن الورد،الديوان ،ص54.
[2] جلال الحنفي ، العروض تهذيبه وإعادة تدوينه، مطبعة العاني، بغداد، 1978م، ط1، ص 143.
[3] قدامى بن جعفر ، نقد الشعر، ص 51.

قسم علماء العروض القوافي إلى نوعين تبعا لحركة الروي فالمطلقة وهي التي يكون فيها الروي متحركا أما المقيدة وهي التي يكون فيها الروي ساكنا"[1].

" وإذا نظرنا إلى الشعر الخاص بالعذل نجد أن القافية المطلقة قد حظيت بنسبة في الاستخدام رويا، وقد أشار بعض الدارسين إلى شيوع هذا النوع من القوافي في شعر الجاهليين وما تلاهم من عصور ومرد ذلك إلى القوافي المقيدة تتلاءم مع الغناء والقوافي المطلقة تعتمد على البحور الطويلة " [2].

3 3 المحسنات البديعية:

أ -الطباق :

يأتي الطباق في المرتبة الأولى بين فنون البديع عند الشعراء الصعاليك، قد يقع هذا الطباق بين اسمين وبين فعلين أو بين اسم وفعل والطباق من حيث طبيعته نوعان:

نوعا يكون بين الأفراد المفردة ونوع يكون بين مدلول التراكيب وهو ما يطلق عليه بعض النقاد المقابلة.

فنجد أوس بن غلفاء يحرص على تمسكه بسلوكه رغم لومه زوجته عليه وذلك لإتلاف ماله في الشراب وتخلفه عن الغزو إذ يقول:[3]

ذريني إنما فطأي صوبي عليَّ وإن ما أهلكت مالَ

فيتمثل الطباق في قوله (خطئي و صوبي) فهو وحده يؤول إليه عاقبة ما يرتكب من خطأ أو صواب، فالأمر الملام عليه إنما هو مال يستحلف عليه ولم يهلك عرضه أو مروءته .

[1] ابن طباطبا ، عيار الشعر، ص51.
[2] إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، مصر، 1965م، ط3، ص 260.
[3] أبو زيد الأنصاري، النوادر في اللغة، دار الكتاب العربي، بيروت،لبنان، 1967م، ط2، ص 64.

ب – الجناس:

هو اتفاق الألفاظ في الحروف واختلافها في المعنى" قد يستخدم الشاعر الصعلوك الجناس ليعبر عن موقفه من عاذله، فهو يقترب من مدلول اللفظ وصوته من جهة ومن الوزن الموضوع فيه من جهة أخرى.

وهذا سحيم بن وثيل يواجه عاذلته مبينا لها أهمية الخمر وسر إقباله عليها بقوله:[1]

ويحك لولا الخمور لم أحفل العيـــ ش ولا أن يضمني لحد

هي الحيـــــــا والحياة واللهو، لا أنت ، ولا ثروة ولا ولد

فالجناس الناقص بين (الحيا والحياة) فالحيا الأولى بمعنى الخصب والمطر والحياة الثانية ضد الموت .

ج– التقسيم :

تنبه القدماء إلى التقسيم فذكر العسكري " بأنه تقسيم الكلام قسمة مستوية تحتوي على جميع أنواعه ولا يخرج جنس من أجناسه"[2].

والتقسيم كان لا يظهر عند الشعراء المعذولين ويأتي بصورة عارضة ويغلب على مطلع القصيدة ويكسبه نغمة موسيقية من خلال تقديم جمل متناسقة ومتناغمة فيما بينها كما في قول حاجب بن حبيب عند رده على لائمته التي ألحت عليه لبيع فرسه:[3]

طَوِيلُ العِنَـــــــــان قليلُ العِثَا ر خَـــاظِي الطَّرِيقَةِ رَيَّـــــانُهَا

وقلتُ: أَلَم تَعْلَمِي أَنَّـــــــهُ جَـــمِيلُ الطُّلاَلَةِ حُـــــــسَّانُهَا

يَجـــــمُّ على السَّاق بعدَ المِتَانِ جُمُوماً ويُبْلَغُ إِمْكَانُهَاد– التصريع

---

[1] الجاحظ ، البيان والتبيين،343.

[2] أبو هلال العسكري، الصناعتين ، تحقيق : علي بيجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة،مصر، 1971م، ط2، ص 375.

[3] الأصمعي، الأصمعيات، ص220.

التصريع في البيت الشعري هو أن يكون أخر حرف المصراع الأول هو حرف الروي في القافية، " ويضفي التصريع على القصيدة وحدة النغم والموسيقى، فالقصيدة تتألف من وحدات موسيقية تلتزم وزنا واحدا ورويا موحدا. ويبلغ الأمر ذروته في اتحاد الموسيقى ووحدة النغم إذا توفر في القصيدة أبيات مصرعة"[1].

لم يحرص الشعراء الصعاليك على التصريع في شعرهم لأن الصعلوك كان ثائرا على مجتمعه تجيش في نفسه النزعة القوية للثورة على المجتمع وأوضاعه وتقاليده، والعمل على وصوله إلى الحرية التي طالما ناضل للوصول إليها. فهو لم يقلد هذا المجتمع حتى في شعره الذي لم يبدؤه بالتصريع، بالإضافة إلى أن شعر الصعاليك في معظمه هو شعر مقطوعات،والتصريع غالبا يكون في القصائد الطوال ويمكن أن تكون قصائده صرعت ولم تصل إلينا، أما القصائد المصرعة المطالع فأشهرها : قصيدة الشنفرى المفضلية ومطلعها: [2]

أَلا أَمُّ عَمرو أَجمَعَت فَاِستَقَلَّتِ وَما وَدَّعَت جيرانَها إِذ تَوَلَّتِ

وقصيدة تأبط شرا القافية ومطلعها:[3]

يــا عيدُ ما لَكَ مِن شَوقٍ وَإيراق وَمَــرِّ طَيفٍ عَلى الأَهوالِ طَرّاق

وقول عروة بن الورد :[4]

أَقِــلّي عَــلَيَّ الــلَومَ يا بِنتَ مُنذِرٍ وَنامي وَإِن لَم تَشتَهي النَومَ فَاِسهَري

وقد أشار النقاد القدامى إلى أن التصريع يحقق وحدة نغمية موسيقية وذلك بربطهم بين التصريع والقافية فهو دليل على قدرة الشاعر وسعة فصاحته واقتداره في بلاغته .

[1] نوري القيسي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، دار الإرشاد بيروت، لبنان، 1980م، ط1، ص 51.
[2] الشنفرى ،الديوان، ص63.
[3] تابط شرا،الديوان، ض90.
[4] عروة بن الورد،الديوان،ص 44.

وغالبا ما يستعين الشعراء المعذولون باستخدام التصريع في النصوص الطويلة وذلك لأنهم حريصون على وحدة الشعور في التأثير في نفوس السامعين لإقناعهم بصحة مسلكهم.

إن العذل من موضوعات الشعر الجاهلي وبخاصة في أشعار الصعاليك وإنه موقف إنساني يتصل بتجربة الشاعر وسلوكاته المختلفة وأن هذا النوع أفردت له قصائد مستقلة ومقطوعات شعرية متنوعة .

إن صورة العاذل في شعر الصعاليك ارتبطت برؤية هؤلاء إلى الإنسان والموت والحياة، كما ارتبط هؤلاء بجدلية الإنسان في الوجود وما يقوم به من أفعال كالكرم الذي يخلد بقاؤه في نظر الناس، وقد أثبتت الدراسة أن اللغة عند هؤلاء كانت قريبة من الوضوح والسهولة والبعد عن تعقيد المعنى، أما صورهم الشعرية فنجد أن التشبيه احتل الصدارة بين سائر الصور البلاغية، وقلت الكناية والاستعارة، أما من ناحية الموسيقى والأوزان الشعرية فقد اعتمد على البحور التي تتكون من أربع تفعيلات في أشطرها كالطويل والرمل ولعل هذا يعود إلى أن صورة العاذل لا تعكس مجرد انفعال فحسب، بل تضم نوعا من الدفاع عن الذات يضطر معه الشاعر إلى اختيار مساحة إيقاعية أطول.

هذه أبرز النتائج التي توصلنا إليها، فكانت صورة العاذل في شعرهم رصد لمواقف إنسانية وبوصلة لهموم الشاعر المعذول في عصرهم وكل العصور.

قائمة المصادر و المراجع

- **القرآن الكريم.**

- **الحديث النبوي الشريف.**

أ - المصادر :

1 -ابن الأثير ، المثقل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تقديم وتحقيق: بدوي طبانة، مطبعة نهضة مصر، 1973م ، ط2، ج2.

2 -ابن حزم الأندلسي، طوق الحمامة في الألفى والألاف ،دار المعارف، القاهرة ، مصر 1975م ،ط1.

3 -ابن طباطبا ،عيار الشعر،تحقيق:محمد زغلول سلام،مطبعة التقدم،الإسكندرية مصر،د ت، ط3.

4 -أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني: تحقيق إبراهيم الأبياري ،دار المعارف القاهرة ،مصر ، 1929م، ط1.

5 -أبو تمام، حماسة أبي تمام، تحقيق: عبد الله سيلان ، جامعة إيمام محمد بن سعود، الرياض، السعودية، 1981م، ط1.

6 -أبو هلال العسكري، الصناعتين ، تحقيق : علي بيجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة،مصر، 1971م، ط2.

7 - الجاحظ ،البيان والتبيين ، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، مصر، 1960، ط1.

8 -الجرجاني، الرسالة الشافية ، تحقيق: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، د ت ، د ط.

9 -الخالديان ،الأشباه والنظائر ، تح :محمد يوسف ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،القاهرة ،مصر، ج2،1965م.

10 -حيم عبد بني الحسحاس ، تح عبد العزيز اليمني ، دار الكتب المصرية القاهرة مصر ،1950م.

11 -عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز،تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة مصر، 1993،ط3.

12 – عروة بن الورد، الديوان، شرح عمرو فاروق الطباعة، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، 1989م، ط2.

13 – علي ظافر الأزدي ، غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات، تحقيق: محمد زغلول سلام مصطفى الجويني، دار المعارف ، مصر ، 1971م، ط1.

14 -عورة بن الورد، الديوان، دار صادر، بيروت، لبنان، 1964م، ط1.

15 – المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1986م، ط1، ج2.

16 -المفضل الضبي،المفضليات ، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف ، القاهرة ، مصر، د ت ،ط6.

ب – المراجع:

1 -إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، مصر 1965م، ط3.

2 – إبراهيم ناصر، علم الاجتماع التربوي،دار المعارف ،القاهر مصر،1984،ط1.

3 –ابن معصوم المدني، أنوار الربيع في أنواع البديع، تحقيق: شاكر هادي، مطبعة النعمان، النجف الأشرف،العراق، 1969م ط1، ج5.

4 -أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، أمالي الزجاجي، تحقيق: عبد السلام هارون، المؤسسة العربية الحديثة للطبعة والنشر، القاهرة، مصر، 1974، د ط.

5 – أبو زيد الأنصاري، النوادر في اللغة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان 1967م، ط2.

6 -أحمد الحوفي ،الغزل في العصر الجاهلي ،مطبعة النهضة العربية ،القاهرة مصر،1961،ط2.

7 -جلاشير ،تاريخ الأدب العربي ،ترجمة إبراهيم الكيلاني ،دار القلم، دمشق سوريا،1956م ،ط1.

8 -تأبط شرا ،الديوان ،تح: علي ذو الفقار شاكر ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،لبنان 1984م ،ط1.

ج- المجلات :

9 -جلال الحنفي ، العروض تهذيبه وإعادة تدوينه، مطبعة العاني، بغداد، 1978م، ط1.

10 -جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين،بيروت لبنان،1969م،ط2،ج 4.

11 -حسني عبد الجليل، الإنسان والزمان في الشعر الجاهلي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1981م، ط1.

12 -زكرياء إبراهيم، مشكلة الحب، مكتبة مصر، مصر، 1970م، ط2.

13 -سعدي ضناوي، اثر الصحراء في الشعر الجاهلي، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، 1993م ، ط1.

14 -شفيق محمد الرقب، عادل جابر صالح ، تاريخ الأدب العربي القديم، دار صفاء، عمان،الأردن، 2010م، ج1.

15 -شكري فيصل :الغزل بين الجاهلية ولإسلام ،مطبعة جامعة دمشق،سوريا 1959م ط1.

16 -شوقي ضيف، سلسلة الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، 2003م، ط24.

17 عباس محمود العقاد، اللغة الشاعرة، دار نهضة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر ، 1995م، ط2.

18 عبد الرحمان حسني الميداني، البلاغة العربية أسسها أعلامها وفنونها، دار القلم، دمشق، سوريا ، 1996م، ط1.

19 – عبد الرزاق الخشروم ،الغربة في الشعر الجاهلي ،منشورات اتحاد الكتاب العرب ،دمشق ،سوريا،1984م، ،ط2.

20 – عبد العزيز الميمني ،الطرائف الأدبية (مجموع شعر الشنفري) ،دار الجيل ، بيروت، لبنان، 1967م،ط1.

21 عبد الله الملوحي ،أشعار اللصوص ، دار طلاس ، د ط، سوريا ،1988م.

22 عروة بن الورد، الديوان ، ش ابن السكيب ،دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د ط، 1997م.

23 عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1978م، ط2.

24 –علي أبو زيد، ظاهرة العذل في شعر حاتم الطائي، مجلة جامعة دمشق، سوريا، المجلد 17، العدد الأول، 2002م.

25 قدامى بن جعفر ،نقد الشعر،تحقيق :كمال مصطفى،مكتبة الخانجي،مصر 1993،ط1.

26 كمال حسن البصير، بناء الصورة الفنية في البيان العربي، مطبعة المجمع العلمي العراقي،بغداد، العراق، 1987م، ط1.

27 –محمد إبراهيم حور، الحنين إلى الوطن في الأدب العربي، حتى نهاية العصر الأموي، دار القلم للنشر والتوزيع، دبي الإمارات العربية المتحدة، 1989، ط2.

28 محمد بركات حمدي أبو علي، فصول في البلاغة ، دار الفكر للنشر والتوزيع، الأردن، 1983،ط1.

29 – محمد علي سليمان، الشعر الجاهلي وأثره في تغيير الواقع، منشورات وزارة الثقافة السورية ،دمشق،سوريا ، 2000م، ط1.

30 مصطفى ناصف ، قراءة ثانية لشعرنا القديم، دار الأندلس، القاهرة ، مصر ، 1981م، ط2.

ج المعاجم :

1 ابن ميمون، منتهى الطلب، تحقيق محمد نبيل الطريفي، دار صادر، بيروت، لبنان، 1997م، ط1.

2 نصرت عبد الرحمن، في النقد الحديث دراسة في مذاهب نقدية حديثة وأصولها الفكرية، مكتبة الأقصى عمان، الأردن، 1979، ط1.

3 نوري القيسي،الطبيعة في الشعر الجاهلي، دار الإرشاد بيروت، لبنان،1980م، ط1.

4 يحي الجبوري ،الحنين والغربة في الشعر العربي ، دار مجدلاوي ،عمان الأردن 2008م ،ط1.

5 – يوسف بكار:اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، د ت، ط2.

6 يوسف خليف، الشعراء الصعاليك، دار المعارف، مصر، 1959م، ط1.

7 يوسف فرحات،ديوان الصعاليك ،دار الجيل ،بيروت ،لبنان ،1992م ،ط1.

د- الرسائل الجامعية :

1 أسماء بنت عبد الله بن محمد الزيد، عذل الشاعر في الشعر العربي القديم ، رسالة الماجستير، جامعة أم القرى، السعودية ، 2004م.

2 عبد الرحمان حسني الميداني، البلاغة العربية أسسها أعلامها وفنونها، دار القلم، دمشق، سوريا ، 1996م، ط1.

3 عباس يوسف عبد الله الحداد، العاذل وتجلياته في الشعر الصوفي (أطروحة دكتوراه)، الكويت.